جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية

مذكرة ماستر

العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علوم اجتماعية: فلسفة

تخصص: فلسفة عامة

رقم:

إعداد الطالبة:

مبارك ابتسام

يوم:

الشك عند دافيد هيوم

لجنة المناقشة

تتيات علي	جامعة محمد خيضر –بسكرة–	مشرفا
العضو 2	الجامعة	الصفة
العضو3	الجامعة	الصفة

السنة الجامعية:2019/2020

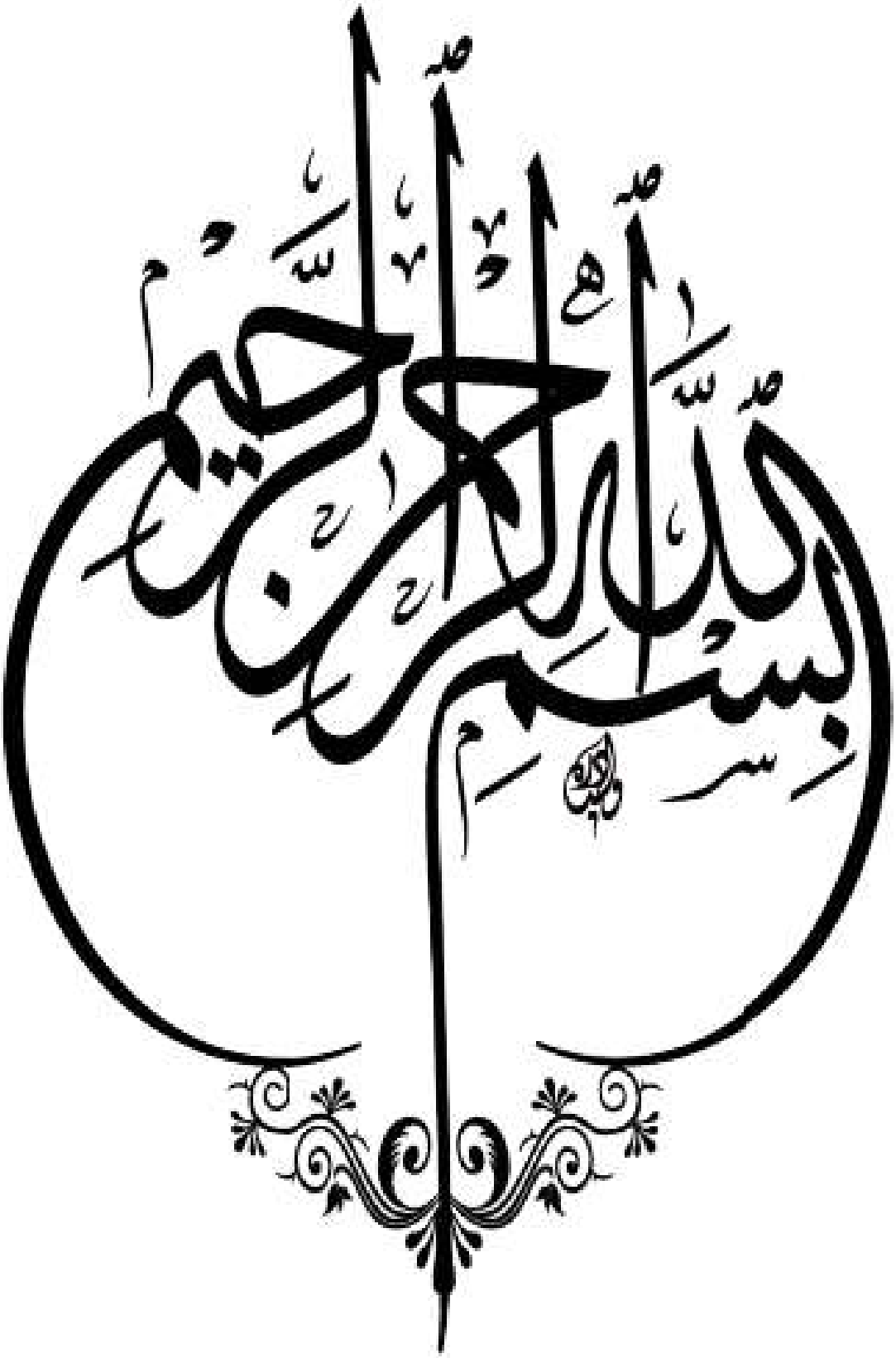
بسم الله الرحمن الرحيم

أشكر الله عز وجل وأحمده حمدا كثيرا لا ينفذ على نعمه وفضله التي لا تعد ولا تحصى.

أشكر الله الذي أنار لي طريق العلم والنجاح ووفقني في إتمام هذا العمل المتواضع لقوله

تعالى شأنه : **" وإن شكرتم لأزيدنكم "**

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى كل من كان لي عونا خلال إعداد هذه الدراسة وأخص

بالذكر موسوعة الفكر ومعلمنا الذي تكرم علينا من حصيلة فكره وجهده ووقته.

أستاذنا الفاضل:

تتيات علي

جزاه الله عنا كل خير وله من جزيل الشكر والعرفان وفائق التقدير والاحترام

كما أتوجه بالشكر الجزيل والتقدير إلى كل أساتذة شعبة الفلسفة

كما نشكر كل الأصدقاء والزملاء في تخصص الفلسفة وإلى كل من قدم لي يد العون ولو

بكلمة.

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى أكثر من يستحق كل كلمات الشكر والعرفان والتقدير

إلى من منحني قطعة من روحه وسعى جاهدا لأجل راحتي ....إلى أكثر من يستعذب بطعم نجاحي

...أبي الغالي...

إلى منبع الحب والحنان والعطاء

إلى من كانت دعواتها المستجابة سندا لي

...أمي الغالية...

إلى إخوتي : دنيا إيمان ، محمد كمال ، صلاح الدين

إلى كل من وقفوا بجانبي وكانوا دعما لي بكلماتهم وابتسامتهم وتحفيزاتهم

أقول لكم شطرا بعمق الشعور وصدق الإمتنان

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
إهداء	
مقدمة	
الفصل الأول : الشك عبر التاريخ	
المبحث الأول :الشك في الفترة اليونانية	06
المبحث الثاني : الشك في الفترة الإسلامية	15
المبحث الثالث :الشك في الفترة الحديثة	23
الفصل الثاني :أبواب الشك وأصناف الريبية عند دافيد هيوم	
المبحث الأول: المعرفة	27
المطلب الأول: الأفكار الذهنية	27
المطلب الثاني: العلاقات	29
المطلب الثالث: مشكلة الاستقراء	33
المبحث الثاني: سيكولوجيا الاعتقاد	36
المطلب الأول: الذات	36
المطلب الثاني : الدين والأخلاق	39
المطلب الثالث : العالم الخارجي	43
المبحث الثالث : أصناف الريبية	43
المطلب الأول : الريبية المتطرفة	46
المطلب الثاني : الريبية المعتدلة	46
الفصل الثالث: امتدادات دافيد هيوم الشكية	
المبحث الأول: إيمانويل كانط	49
المبحث الثاني : كارل بوبر	57
خاتمة	64
قائمة الراجع والمصادر	
ملخص الدراسة	

مـــقـــدمـة

مقدمة

طالما كان الإنسان فضوليا بطبعه منذ عصور غابرة قبل نزول آدم إلى الأرض وقبل التاريخ حتى ، فكان الإنسان يثيره كل شيء من حوله يرمي الشكوك في نفسه لغموضها أو لجهله لمصدرها وأصلها، ما يدفعه لتقصي والسعي لإجراء تحقيقات في منتهى الدقة للكشف عن صدق وحقيقة هذه الأشياء والأحداث لرفع الغرابة والجهل عنها معتمدا في ذلك على العقل والحواس إلا أن كل من وسيلتي العقل والحواس تعثروا في لمس الحقيقة ، والإحاطة بها أضحى أمرا غير ممكن وضعها محلا لشك فأيا كانت براعة العقل والتجربة فقد سجلوا سلسلة من الإخفاقات جعلت الإنسان يعيش في دوامة من الأوهام ناظرا للحقيقة من بعيد يشير إليها بتعسر اليقين بها ما ضيق على الإنسان فوهة الحقيقة وأصبح الشك بصيص النور الذي يمر من خلاله لبلوغ المعرفة الحقيقية فكان الشك من بين أهم المواضيع التي اهتم بها الفلاسفة منذ العصر اليوناني والعصر الإسلامي حتى العصر الحديث مألوفا فقد نشأ الشك عند اليونانين خاصة النزعة السفسطائية التي ردت المعرفة إلى الذات بدلا من الموضوع وهذا ما يوضح نسبية المعرفة وقد مثلى هذه النزعة كل من بروتاجوراس وجورجياس غير أن هناك من بين هذه الوجهات من النظر أن يكون الفيلسوف محايدا كظهور النزعة الشكية مع بيرون الذي يرى أن الشك هو عدم الحكم على شيء بالإيجاب ولا بالنفي وإنما بالاكتفاء صمتا فلاهي حقيقة ولا هي كاذبة .

وسرعان ما بدأت النزعة الشكية تفقد لمعانها مع ظهور الأكاديمية الجديدة التي كانت تدعو إلى النفي الجازم ، وبعد ظهور النزعة الشكية متأخرة مع أناسيداموس بدأت المدرسة البيرونية بالبروز من جديد وأصبحت المعرفة أمرا غير ممكن ولا ننسى أن للفلسفة الإسلامية دور مهم في إحاطتها بالشك ونجده بارزا عند الإمام حامد الغزالي الذي سعى للوصول إلى الحقيقة عن طريق الشك ، وفي العصر الحديث تأثر به الفيلسوف الانجليزي دافيد هيوم

الذي شك في قدرة العقل من بلوغ الحقيقة فكان له تأثير على بعض الفلاسفة: كانط وكارل بوبر كأنموذج ، حيث جعل من الأول ناقدا من الدرجة الأولى والثاني دفعه التخلي عن الذاتية في المعرفة واستبدالها بالموضوعية .

وهكذا نجد دافيد هيوم يعرض علينا رؤية جديدة وتصورا خاصا لمسار الفلسفة الحديثة من خلال فهمنا للفترة الزمنية التي يستغرقها الشك فكان استغراق جديد وهام في آن معا ، لأنه يجعلها تبدأ من الفترة اليونانية إلى عصرنا الراهن حيث تشمل مساحة أوسع مما نفهم بها مصطلح "الشك"

فمن خلال قراءتنا لهيوم نلاحظ خروجه من التصور والتصنيف الكلاسيكي على أنه تجريبي إلى القول أنه صاحب نزعة شكية وعلى ضوء هذا الطرح جاءت الإشكالية على النحو التالي: **هل الشك عند دفيد هيوم ذات طابع مذهبي أم معرفي أم وجودي كما هو الحال عند ديكارت ؟** ويندرج تحتها مجموعة من الأسئلة الفرعية التي تتماشى والخطة المرسومة :

1. ما هي الجذور التي انبثق منها الشك؟
2. أين تكمن فروع الشك عند دافيد هيوم ؟
3. هل انتهاج دافيد هيوم الشك يؤول بنا إلى حقيقة مطلقة حسبه ؟
4. فيما تمثلت التغيرات التي أحدثها دافيد هيوم في المعرفة ؟
5. ما هي إيجابيات الشك حسب دافيد هيوم ؟
6. فيما تتمثل امتدادات هيوم الشكية ؟

وقد اعتمدنا في معالجة هذه الإشكالية وما يندرج تحتها من تساؤلات بالاعتماد على منهجين رئيسين في التعامل معها ألا وهما: **المنهج التاريخي** وذلك من خلال سرد الأحداث التاريخية للشك وأهم رواده ، **والمنهج التحليلي** حيث وجدنا أنفسنا مثل المفكر تماما منقبين على كيفية الوصول إلى المعرفة الحقيقة ومكامن الشك معتمدين التحليل والتجزيء في دراسة الشك عند

دافيد هيوم وللتماشي مع الإشكالية كانت الخطة على شكل **ثلاث فصول** ، **الفصل الأول** والمعنون بالشك عبر التاريخ اندرج تحته ثلاث مباحث : المبحث الأول تطرقنا فيه إلى الشك في الفترة اليونانية، المبحث الثاني تناولنا الشك في الفترة الإسلامية ، المبحث الثالث الشك في الفترة الحديثة ، أما **الفصل الثاني** جاء بعنوان أبواب الشك وأصناف الريبية عند دافيد هيوم وقد مثل لب موضوعنا احتوى على ثلاث مباحث ، المبحث الأول تطرقنا فيه إلى المعرفة وتندرج تحتها ثلاث مطالب ، المطلب الأول الأفكار الذهنية والمطلب الثاني العلاقات ، والمطلب الثالث مشكلة الاستقرار، والمبحث الثاني أدرجنا فيه سيكولوجيا الاعتقاد وهو بدوره يحتوي وهو بدوره يحتوي على ثلاث مطالب ، المطلب الأول الذات والمطلب الثاني الدين والأخلاق ، والمطلب الثالث العالم الخارجي ، وفي المبحث الثالث تناولنا أصناف الريبية وتتفرع إلى مطلبين :المطلب الأول الريبية المتطرفة ، المطلب الثاني الريبية المعتدلة ، **أما الفصل الثالث** عنواناه بامتدادات دافيد هيوم الشكية وقد وظفنا فيه مبحثين ، اندرج تحت كل منهم فيلسوف كأنموذج كانت صدى لشكية هيوم حيث تناولنا في المبحث الأول إيمانويل كانط والمبحث الثاني كارل بوبر.

ثم خاتمة والتي جمعنا فيها أبرز النقاط الرئيسية التي وردت في دراستنا هذه وقد تعددت الأسباب والاهتمامات في اختيارنا لهذا الموضوع منها ما هو ذاتي، ومنها ما هو موضوعي ، فمن الناحية الذاتية يرجع إلى إعجابي الشديد بالفكر الغربي عامة والعصر الحديث خاصة ،وحب التعرف على آراء مفكرنا والاهتمام بالنزعة الشكية التي تميز بها دافيد هيوم ، أما من الناحية الموضوعية لما للموضوع من مكانة هامة في سبيل النهضة بالمعرفة وتنوير العقول والتعرف على نجاعة الشك في إحداث انقلاب ضد التجربة والعقل وتحريك عجلة التفكير لمحاربة طمس الحقيقة والسعي لبلوغها.

كما اعتمدنا على مؤلفات مهمة لدافيد هيوم نذكر منها:

" **تحقيق في الذهن البشري،**" " **رسالة في الطبيعة البشرية** " وهما من أهم مؤلفين في هذا البحث ، وغيرها ككتاب "**محاورات في الدين الطبيعي** "

أما المراجع الأخرى فاستخدمنا مراجع الفلسفة الغربية الحديثة سواء لويليام كلي رايت أو برتراند راسل باعتبار أن أفكار هؤلاء تصف في قالب واحد تقريبا ، كما استعملنا كتب مهمة في الفكر الإسلامي لأبي حامد الغزالي ككتاب المنقذ من الضلال ، ولعل أهم الصعوبات التي وجهتنا في طريق إنجاز هذا البحث، نقص الخبرة في معالجة هذا النوع من المواضيع وغموض أفكار دافيد هيوم بعض الشيء وصعوبة تحليلها.

ونهدف من هذه الدراسة إضافة جادة إلى المكتبة الفلسفية وان نوفق ولو بدرجة قليلة في توضيح رسالة دافيد هيوم من خلال نهجه للنزعة الشكية والتعرف على دور الشك في بلوغ المعرفة ونموها وتطورها وتخليص العقل من حالة الجمود وإيقاظه من سباته ودغمائيته وفي الأخير نرجو أن نكون قد أسهمنا ولو بقطرة من إفادة الباحث في شكية دافيد هيوم .

الفصل الأول: الشك عبر التاريخ

المبحث الأول :الشك في الفترة اليونانية

المبحث الثاني : الشك في الفترة الإسلامية

المبحث الثالث :الشك في الفترة الحديثة

الفصل الأول: الشك عبر التاريخ

المبحث الأول: الشك في الفترة اليونانية

الحضارة اليونانية من أعرق الحضارات وأولها اهتماما بعالم المعرفة من جميع جوانبها اليقينية والمشكوك فيها، وكذلك اهتمت بمعرفة أصل الوجود، فكانت اليونان أسبقهم في تناول موضوع الشك حيث كان الشك لديهم ليس شكا مطلقا وهذا ما تجده عند أبرز رواد آنذاك الزمن نذكر:

1-كزينوفانس :

كزينوفانس* هو أول من فرق بين عالم الآلهة وعالم البشر ، فقد ذهب إلى الشك في المعرفة ووضعها موضع التخمين والشكوك، فهو يرى بأن الآلهة لم توحي للبشر بجميع الأشياء منذ البدئ ولم يبقى بوسعهم إلا أن يثابروا على البحث كي يكتشفوا ما هو الأفضل، وحسبه ذلك نتيجة لسببين ألا وهما أن البشر مهما بلغو من المعرفة لا يمكن لإدراكهم المحدود بلوغ ذلك كما أن الشك من نصيب الجميع

أي أن كزينوفانس يرى أن الآلهة أمر يفوق قدرة البشر الإدراكية لبلوغ حقيقتها ، فمهما كانت الجهود والاجتهادات المبذولة في البحث فيها فلن تستوفي حقيقتها لأنها تنتمي إلى علم الغيبيات فهي في حضرة الشك لا يمكننا أن نراها أو نمسكها لنجزم حقيقة وجودها أو عدمها فلا نملك أية فكرة عنها.[1]

* كزينوفانس (xcnoyhonen) :ولد حوالي 570 ق-م في كولون بآسيا الصغرى وتوفي في 478 ق-م أنظر: ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار العلم للملايين ، ط1 ، 1991 ، بيروت ،ص31 .

[1] المرجع نفسه، ص 33.

2-هيراقليطس الأفسسي :

يرى هيراقليطس أن الحقيقة ليس كما تظهر لنا بالعين المجردة، فالظاهر لا يعكس حقيقة الباطن إذ ليس كل ما يظهر للعيان هو الحقيقة وهذا ما نلمسه في قوله : نحن موجودون وغير موجودين ذلك أن العالم الذي يخضع للصيرورة هو عالم خفي- عالم الحس-وبالتالي لا يمكن لقانون الصيرورة أن يقع تحت الحس، وقد لا يمكن للمرء إدراكه بنور البصيرة [2]

لذلك يرى هيراقليطس أن كل شيء دائم الحركة والتغير ما يثبت وجود الصيرورة ويؤكده في قوله :"نحن ننزل في النهر الواحد ولا ننزل فيه ، فما من إنسان ينزل في النهر الواحد مرتين،فهو دائم التدفق والجريان "

ويعني أن النهر في جريان مستمر وبالتالي فإننا عندما ننزل في النهر للمرة الأولى ليس نفسها في المرة الثانية، فهو يرى أن الثبات مجرد وهم [3] الأمر الذي دفع هيراقليطس إلى القول :"أن التغير هو سيد الحياة وأن الإنسان مقياس كل شيء"

أي لا وجود لأمر ثابت ، إذ أنه يولي أهمية المعرفة العقلية وإعلائها شأنا [4] ونجده يصف الآلهة بالتغير أي أنه لا يكتفي بوصفه أن الأشياء تتغير من لحظة إلى أخرى بل تعدى وصفه للآلهة ، فهو يرى أنه لا يوجد لإله ثابت ولا يعترف بذلك[5].

---

[2] ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 37.

[3] ولتر ستيس ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، تر : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، دار الثقافة ، 1984، القاهرة ، ص 37.

[4] ريمون غوش، الفلسفة السياسية في العهد السقراطي ، دار الساقي ، ط1، 2008، بيروت – لبنان ، ص 24 .

[5] برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية ، تر: زكي نجيب محمود ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1، 2010، ص 92.

3- السفسطائية:

لقد عبرت بفلسفة قوية عن أثينا حيث اختصت باللغة والخطاب والخطاب والجدل ....وجعلت من الفرد أساس كل شيء ومقياسه، فقد نادت بالنزعة الفردية ويتجلى ذلك بقوة في نظرياتهم المختلفة[6].

حيث يسعى السفسطائيين إلى بلوغ النجاح وأعلى المراتب من خلال البراعة في الخطابة والمهارة في إثارة المشاعر للتغلب على الخصم على حساب الحقيقة فكل همهم بلوغ غايتهم وتحقيق أغراضهم الشخصية وإشباع غرورهم بالنصر وقد أثاروا الشك في مصداقية النظريات العلمية وأنقصوا من قيمة العقل في بلوغ الحقيقة ويظهر ذلك من خلال تمجيدهم التجربة وخبرة الفرد الحسية للوصول إلى الحقيقة ، فهم يعتمدون على الفرد كمقياس يختلف من فرد لآخر [7]ومن رواد هذا التوجه نجد كل من بروتاجوراس وجورجياس.

3-1- بروتاجوراس :

وقد استعان بروتاجوراس ببعض حكماء الفرس في تعليمه فأخذ عنهم الشك في الآلهة وفي ذلك يقول : "فيما يتعلق بالآلهة فلست أدري إن كانت موجودة أم لا وعلى أي شكل تكون لأن أسباب الجهل بهذا الأمر كثيرة وأولها غموض الموضوع وثانيها قصر الحياة " ما يعني أن بروتاجوراس لم يصرح بوجود آلهة أو عدمها فلم يكن يعتقد بالديانة من أساسها فهو لا يهتم بوجود الحقيقة وهذا نتيجة غموض الموضوع وتسارع الزمن .

كما شك بروتاجوراس في المعرفة حيث ينكر وجود معرفة صحيحة فلا يوجد معيار ثابت للحقيقة ، فهو يرى أن الحقيقة ذاتية وليس موضوعية وبالتالي فهي موضع الشك لأن كل فرد له نظرته الخاصة تختلف عن غيره

---

[6] أميرة حلمي مطر ،الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ، دار قباء، 1998، القاهرة ، ص 119.

[7] ولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 100 .

فما يبدوا لي ليس بالضرورة ما يبدو لغيري بنفس النظرة فكل حسب نظرته[8] لذلك نجد بروتاجوراس يرى أن الإنسان مقياس حقيقة كل الأشياء وهذا يؤول إلى أن الحقيقة متغيرة وليست ثابتة لأنها تقاس من مبدأ ذاتية الفرد ، ذلك أن الحقيقة تكمن في العقل وليس الحواس لأن العقل عنصر كلي يتماثل عندي وعند الجميع بينما الحواس عنصر جزئي لا يمكن إيصالها لغيري فالحواس والمشاعر أمر شخصي يخص الفرد بذاته لا يمكن أن ننقل ما نشعر به لغيرنا كما نشعر به نحن بتفاصيله ودقته عكس العقل الذي يمكنه إيصال أي فكرة لأي كائن عاقل[9].

وهذا ما يؤكده شيلر* من خلال تبنيه قول "بروتاجوراس"

"بأن الإنسان ليس معيار الأشياء كلها وحسب ، بل هو الذي يوجد هذا الواقع "[10].

3-2- جورجياس :

لقد شك جورجياس في الوجود فشك في كل شيء وأنكر الوجود ولا وجود وذلك راجع لتعرضه لمشكلة الوجود وهذا ما عرض عليه في مؤلفه المعنون ب " بالا وجود " قائلا : " لا شيء موجود ، لأنه لو وجد شيء فلا يمكن معرفته وحتى لو أمكن معرفته فيستحيل نقله إلى الغير"

فلخص بذلك فلسفته الشكية في ثلاث قضايا هي :

1) لا يوجد شيء .
2) إذا كان هناك شيء فالإنسان قاصر عن إدراكه .

---

[8] أميرة حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ، مرجع سابق، ص 121.

[9] ولتر ستيس ، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 102.

*شيلر :shiller ، فيلسوف انجليزي (1864- 1937) وصف فلسفته بالمذهب الإنساني القريبة من نسبية بروتاغوراس وذرائعية وليم جيمس –أنظر جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، ط3 ، 2006، بيروت – لبنان ، ص 412.

[10] محمد مهران رشوان ، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة ،دار الثقافة ، ط2 ، 1984، القاهرة ، ص 75.

3) إذا فرضنا أن الإنسان استطاع إدراك الشيء فلن يستطيع أن ينقله لغيره.

أي أن تفسيرا أكثر لهذه القضايا يعني أن الوجود غير موجود أي إذ لو كان موجودا فسيكون إما أزليا أو مخلوقا أو هما معا ، فإن كان أزليا، فيعني أنه لا متناه ومنه فهو غير موجود، أما إذا كان مخلوقا يفعل شيء موجود أو بفعل شيء غير موجود وكلا الأمرين مستحيل.

وكذلك لا يمكن أن يكون أوليا ومخلوقا في الوقت نفسه لأنه يستحيل الجمع بينهما لأجل شيء واحد، أما إذا أردنا إدراك وجود الأشياء فيجب توفر اتصال وثيق بين تصوراتنا أي تطابق الفكر مع الواقع وكذلك إذا استطعنا إدراك الأشياء فلا يستطيع نقله لغيرنا وحجته في ذلك أنه للتواصل مع الناس يلزمنا لغة وهذه الأخيرة مجرد كلام وليس شيئا موجودا لذا فنحن ننقل للناس ألفاظ وليس أشياء ، وبذلك يكون جورجياس من أولائك المصنفين من الشكاك والمثيرين له .[11]

4- الشكاك:

الشكاك أو مايسمى بالا أدرية اسم أطلق على جماعات من الفلاسفة في الفترة الهلنستية ، الذين شكوا في كفاية الحواس والعقل في الوصول إلى حقيقة الأشياء ، وقد ظهرت هذه الفلسفة في أواخر دورها نتيجة التردد والارتباك الحاصل آنذاك بين مذاهب الطبيعيين والسفسطائيين يصرحون بأن الحق هو ما عند المرء حقا والباطل ما عنده باطلا أي أن الفرد هو مقياس الحق والباطل ، أما ألا أدرية فهم الذين يقولون ما ندري ما هو الحق ولا الباطل فلا علم ولا يقين وأقصى ما ندركه هو ما نراه بحواسنا[12] وهو المعني عينه الذي أنطلق منه الشكاك من تعليق الحكم بمعنى عدم تفصيل أحد المحكمين على الآخر ولقد استفادت ألا أدرية من الآراء التي ظهرت في مجرى تطور الفلسفة قبلهم منذ أفلاطون وأرسطو فقد أثارو

[11] أميرة حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، مرجع سابق، ص 83- 119 - 125 .

[12] دافيد سانتلانا ، المذاهب اليونانية الفلسفية في العالم الإسلامي ،دار النهضة العربية ، 1981، بيروت ، ص 43-44.

مشاكل معلقة لا تدعو إلى الثقة واليقين فكان عليها أن تنتظر حتى العصر الهيلنستي لتنظم في مذهب فلسفي متكامل مذهب الشك[13].

ولهذا لم يكن غريبا أن يتأسس تيار جديد يكون حالا مناسبا لموقف التنافر بين الأبيقوريين والرواقيين، وهذا التنافر لا نجد فيه منفذا للتوفيق حيث لا يمكن أن توفق بين النظرة الذرية والنظرة الكونية .

وهذا ما جعل من المعرفة أمر يستحيل إمساكه وبالتالي يجب على الإنسان أن يشك ويرتب حياته على أساليب هذا الشك ومنه انبثقت مدرستان رئيسيتان : مدرسة بيرون ومدرسة الأكاديمية الجديدة[14].

أ- مدرسة بيرون :

بيرون * مؤسس هذه المدرسة فهو معروف بأنه صاحب مذهب ألا أدرية المنكر للعلم واليقين[15].

ومن خلال طريقة أخذه للحياة قد مثل الشك أصدق مما ورد لنا في أقواله في الشك ، ومن عرضنا لآراء المدرسة نجد بيرون يقول على لسان تلاميذه : " أن الفلسفة الشكية تدور حول مسائل ثلاث، الأولى مسألة طبيعة الأشياء في ذاتها من حيث إمكان معرفتها، والثانية مسألة الموقف الذي يجب أن يقفه الحكيم إزاء طبيعة المعرفة التي لدينا عن طبائع الأشياء، والثالثة مسألة الموقف العلمي الذي يستخلصه الإنسان من هذا الموقف الفكري ..." أي أنهم لا

[13] محمد خطيب ، الفكر الإغريقي ، دار علاء الدين ، ط1 ، 1999، دمشق ، ص 273.

[14] عبد الرحمان بدوي ، خريف الفكر اليوناني ،مكتبة النهضة العربية ، ط4 ، 1970 ، القاهرة ، ص 70.

*بيرون : pyrhon (365- 275 ق-م) وفي بعض المراجع فيرون ولد ب إليا ثم غادر إلى آسيا وعاد منها بمبدأ تنوع الظنون الإحتمالية المتحكم بمعطيات حواسنا – أنظر جورج طرابيشي، مرجع سابق ، ص 468.

[15] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ص 278.

يعترفون بدور العقل والحواس وينقصون من أهميتهم في بلوغ معرفة حقيقة الأشياء، فحسبهم كل من العقل والحواس يفضي إلى تظليلنا عن الحقيقة وإيقاعنا في الأوهام .[16]

كما أن بيرون يرى أننا لا نعرف شيئا وأن كل ما نعرفه هو كيف تبدو الأشياء لنا ، أما بالنسبة لجوهرها الباطن فنحن جهلاء به ويبرهن على هذا باختلاف الرأي بين الحكماء وبين العامة[17].

فالرجل الحكيم حسب بيرون هو الذي يمكنه التعليق عن إطلاق الحكم على الأشياء ، وهذا لا يعني أن ليس ثمة شيء يقيني ، بل إدراكاتنا الحسية صادقة حتما وإنما الخطأ يأتي من الأحكام عندما نحاول الحكم على مظاهر الأشياء كما تبدوا لنا [18].

إن الشك لا يتناول الظواهر وهي بينة في النفس ولكنه يتناول الأشياء في نفسها فقد أُقر بيرون في قوله " أن الشيء يبدو أبيض وأن العسل يبدو مذاقه حلوا، وأن النار تحرق ، لكنه يمتنع عن الحكم بأن الشيء ابيض وأن العسل حلو وأن من طبيعة النار تحرق "

فالأشياء ليست في ذاتها جميلة ولا قبيحة ولا عادلة ولا ظالمة ومنه فقد انتهى بيرون من كل ذلك إلى التوقف عن الحكم الذي سماه بالإبيوخي أي الصمت المطلق[19].

وبذلك قدم بيرون فلسفة لا تؤمن بشيء ، فلسفة زاهدة في كل شيء تلغي الحياة الدنيوية وجعلوا الشك هو الخير الأقصى لأن الطمأنينة تتبع ظله[20] وقد تطورت الشكية لاحقا على يد أتباع بيرون وتلاميذه أمثال تيمون وأناسيدا موس وسكستوس أمبريقوس ويصنفون من

---

[16] عبد الرحمان بدوي ، خريف الفكر اليوناني ، مرجع سابق ،ص 196.

[17] محمد فتحي عبد الله ، دراسات في الفلسفة اليونانية ، دار الحضارة ، طنطا، ص 196.

[18] محمد الخطيب ، الفكر الإغريقي، مرجع سابق ، ص 234.

[19] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص 278.

[20] أميرة حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، مرجع سابق ، ص 354-355.

الشكاك المتأخرين[21] مع تأسيس الشك التجريبي وقد مثله فئة من الأطباء الشكاك من أهمهم سكستوس أمبريقوس* الذي رفض العلم وتوجه نحو العمل ليستنير به طريقه ،وقد توصل إلى أن الشك لا يحتاج لمعرفة المبادئ عامة ولا إلى اليقين بالحقائق بل يتبع الطبيعة ويسير كما يسير الناس فيصل إلى النتائج بغير معرفة المبادئ. فقد تميز الشك عن هؤلاء المتأخرين بأنه يتجه إلى نقد المعرفة العلمية .[22]

ب-الأكاديمية الجديدة :

تعتبر الأكاديمية الجديدة من أهم مصادر فلسفة الشك إذ وقفت معادية لروح الإيمان التوكيدية الدوغمائية والأحكام المطلقة التي سادت تعاليم الرواقية ، وأيدت روح الشك عند سقراط والمناقشة والجدل التي اتسم بها حوار أفلاطون ، كما وقعت في صف الاقتناع عن الجزم بحقيقة مطلقة .

ويعد من أبرز رواد الأكاديمية الجديدة الفيلسوف ارسيزيلاس * الباعث للشك وقد نهجت المدرسة على نهجه ، كما التحق قارينادس* هو الآخر وأصبح رئيسا لها[23] وبذلك يعيدون ذلك التعارض الذي وضعه أرسيزيلاس والشكاك المتقدمون بين اليقين المطلق والجهل المطلق.

---

[21] محمد الخطيب ، الفكر الإغريقي ، مرجع سابق ، ص 234.

*سكستوش أمبريقوس sextus empiricus فيلسوف وعالم يوناني ولد في ميتيلينا حوالي (150-210 ق-م) لقب بأمبريقوس (المجرب) نسبة إلى شيعة الأطباء الذين كان ينتمي إليهم من مصنفاته نذكر التعاليم البيرونية ....أنظر : جورج طرابيشي، مرج سابق ، ص 367.

[22] أميرة حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، مرجع سابق ، ص357.

*أرسيزيلاس Arcé sillas(316-241 ق-م) فيلسوف يوناني ولد بيتانا ، قاد الأكاديمية في عهد عرفت فيه الأكاديمية نهوضا جديدا ، إذ تحولت عن مؤسسها أفلاطون إلى الشكية وعرفت باسم الأكاديمية الجديدة – أنظر جورج طرابيشي ، مرجع سابق ، ص 59.

*قارينادس carneder (214-126 ق -م) فيلسوف يوناني قورينائي الأصل ، تولى زعامة الأكاديمية ، يعتبر من ألمع ممثلي المدرسة الأفلاطونية عدوا لرواقية وخصما لكل وثوقية يعرف بمذهبه الاحتمالية الشكية -أنظر جورش طرابيشي ، مرجع سابق ، ص495.

[23] أميرة حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، مرجع سابق ، ص 357-358.

إذ يفرق قرينادس بين درجات مختلفة من اليقين فقد حاول حل مشكلة المعرفة على الطريقة الاحتمالية المخففة ، ولهذا منح عناية كبيرة بنظرية الاحتمال وبدرجات المعرفة وهذا ما أورده في قوله: " تتدرج الحقائق وأن الانتقال من اليقين إلى الجهل ومن الجهل إلى اليقين يتم بطريقة تدريجية"

ومنه يعد قارينادس أعظم الشكاك الأكاديميين ومع هذا لم يضف شيئا جوهريا جديدا غير أنه جاء بالناحية الإيجابية المسماة بمعيار الحقيقة الذي يحاول وضعه على أساس إيجابي.[24]

وقد تطور الشك بفضل الاتجاه الجديد الذي أخذته الأكاديمية الجديدة وذلك من خلال عنايتها بالاتجاه العلمي ، فهم لم يتجهوا التيار العلمي القديم القائم على اليقين وإنما اعتنقوا التيار الأميل للشك وأصبح هدف الأكاديمية محاربة التيارات اليقنية وفي هذا الدور وجهت معارضة للرواقية خاصة في نظرية المعرفة إذا تجد أرسيزيلاس نقد الرواقيين وأنكر الإدراك الحسي ، أي الصورة التي تنطبع في الذهن صادرة عن الأشياء الخارجية وتبعا لهذا يمكن القول أن الغاية من وراء هذا النقد إنكار كل معرفة سواء كانت حسية أو عقلية .

ومنه نستطيع القول أن الرواقية لها نصيب في نشأة هذا التيار الجديد إذ أنه من دون شك كان لها تأثير كبير.[25]

وامتدادا لهذه الأكاديمية الجديدة ظهر الشك المحدث مع الشكاك المتأخرين ، فقد أخذ الشك المحدث عند اليونان وجها جديدا يختلف كثيرا عن الوجه الذي كان عليه الشك القديم ، فأصبح يدقق أكثر ويفصل في الحجج التي تقوم عليها موقفهم في نظرية المعرفة وأبرز الشكاك الممثلين لهذا الشك الجديد أناسيداموس * له كتاب مسمى ب "الأقوال الفورونية "

[24] عبد الرحمان بدوي، خريف الفكر اليوناني، مرجع سابق ، ص 79-80.

[25] عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، المؤسسة العربية ج2، بيروت ، ص 18-19.

التي جمع فيها حججه العشر المشهورة لإظهار عدم إمكانية المعرفة[26]، وتتلخص حجج أناسيداموس فيما يلي :

1. تباين مشاعر وإدراكات الكائنات الحية جميعا .
2. الفروق الفيزيائية والعقلية للناس تظهر لهم اختلاف الأشياء .
3. اختلاف الحواس تعطي انطباعات مختلفة على الأشياء .
4. إدراكاتنا الحسية تقوم على أساس ظروفنا الفيزيائية والعقلية .
5. الأشياء تختلف باختلافها أو بتنوع كمها ونوعها وحركتها ودرجة حرارتها .
6. الأشياء تختلف بحسب اختلاف أوضاعها ومسافاتها.
7. الإدراك الحسي غير مباشر يتم من خلال واسطة.
8. تختلف انطباعات الأشياء علينا بحسب طبيعتها .
9. تختلف المعرفة باختلاف صلة شيء بشيء أخر أو بأنفسنا.
10. -اختلاف أراء وعادات الناس باختلاف بلدانهم .

نلاحظ تعدد الحجج ولكن جميعها تشترك في إظهار عدم إمكانية المعرفة ذلك أن هناك مفارقات بين الناس معرفيا وفيزيائيا ، حسيا وعقليا...وكذلك الأشياء هي الأخرى تختلف مما يؤدي إلى استحالة المعرفة [27] .

المبحث الثاني: الشك في الفترة الإسلامية:

وفي هذا المبحث سنتناول حجة الإسلام الغزالي كأنموذج للشك في الفترة الإسلامية ، فنتحدث عن نقطة انطلاق المنهج الشكي عند الغزالي والأسباب التي جعلته يتخذه سبيلا

* أنسيداموس Aenésidème فيلسوف يوناني ولد في كريت من أنصار الشكية والتجريبية وهو من إختزل عشر حجج شكيين حول بواعث الشك .أنظر الطرابيشي ،مرجع سابق ، ص 230.

[26] عبد الرحمان بدوي ، خريف الفكر اليوناني ، مرجع سابق ، ص 83.

[27] ولتر ستيس ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص297-298.

للبحث عن الحقيقة ويستوضح لدينا في هذا المقام أن غاية الغزالي من شكه استقلال الفكر وليس زندقة وكفر فهو يشك للتخلص من كل علم ومعرفة تستقى عن طريق التقليد بل يسعى إلى معرفة يقينية مطلقة .

فنجد شكه شمل جميع المعارف الحسية والعقلية والميتافيزيقية وفي أخر المطاف سيعرض لنا الغزالي الحل الذي توصل إليه للتخلص من هذا الشك عن طريق معرفة الحقيقة المطلقة من خلال التصوف، وبذلك نكون قد مررنا بجميع مراحل الشك التي عاشها الغزالي مع الحل

فعندما نلقي نظرة على الفترة التي عاشها الغزالي يتضح لنا انحلال وحدة الفكر إلى مجموعة من الآراء المتضاربة كل منها تنسب لنفسها معرفة الحقيقة دون تقديم تبرير لادعاءاتها فقد ازدحم عصر الغزالي بمشكلات دينية وكانت هناك عدة مدارس وطوائف دينية يقوم فكرها على التقليد دون فحص ونقد ما دفع الغزالي إلى استدراك مدى عمق المشكلة التي وقع فيها عصره،[28] ويقول الغزالي في هذا الصدد "... وغفلة منهم عن أن الانتقال إلى تقليد عن تقليد خرق وخيال فأية رتبة في عالم الله أخس رتبة من رتبة من يتجمل بترك الحق المعتقد تقليدا بالتسارع إلى قبول الباطل تصديقا دون أن يقبله خبرا وتحقيقا.[29]

فليس من مقام الغزالي أن يترك فكره لعبة تتأرجح بين عقليات عمره فهو أوعى من أن يوجهوا فكره ويكبلوه بل كانت تلك العقليات نقطة انطلاق لشكوكه ويمكننا القول أن ابرز أفكار فلسفة الغزالي تدعو لضرورة الاستقلال العقلي وفي ذلك " يقول فجانب الالتفات إلى المذاهب والطلب لحق بطريق النظر لتكون صاحب مذهب ولا تكن في صورة اعمي تقلد قائدا يرشدك إلى طريق وحولك ألف مثل قائدك فلا خلاص إلا في الاستقلال ...ولو لم يكن

[28] محمود حمدي زقزوق ، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت ، دار المعارف ، ط4، 1997،القاهرة ، ص 67.

29 إبن رشد ، مجموعة ثلاثة كتب : تهافت الفلاسفة لأبي الغزالي وتهافت التهافت لابن رشد وتهافت الفلاسفة خواجة زاده، طبع في المطبعة الخيرية بمصر على نفقة مصطفى البابي الحلبي ، 1319، ص38.

في مجاري هذه الكلمات إلا ما يشك في اعتقادك الموروث لتنتدب " للطلب فناهيك به نفعا"[30]

وبذلك نجد أن المنطلق الحقيقي لشك الغزالي هو الاعتراف بوجود حقيقة مطلقة وجب البحث عنها وذلك بالتخلي عن كل معرفة تفتح مجال للشك حتى لا يبقى في النهاية إلا المعارف اليقينية .

فإذا تتبعنا أهمية منهج الشك في مؤلفات الغزالي نستطيع أن نرى بوضوح دعوته منذ البداية إلى الاستقلال العقلي فنجده يتحدث في كتابه : الاقتصاد في الاعتقاد عن أهمية البحث عن الحقيقة بحثا مجرا غير مسبوق بأحكام[31] ويقول في ذلك: "طائفة اعتقدوا الحق تقليدا وسماعا ".[32]

وخلال ذلك يعرض لنا الغزالي صورة الشك المنهجي في صورة إخبار عن تجربة شخصية عاش تفاصيل حالتها فكان لها تأثيرا عميق أعطى لأفكاره قوة إقناع لا تستطيع أن ترتقي إليها المناقشات المجردة تهدف في المقام الأول حث القارئ على تشجيعه للاحتذاء به وسلوك طريق الشك لبلوغ اليقين المطلوب وقد بين الغزالي من خلال تجربته مع الشك البناء الأساسي لحركة الشك عنده فيتبين له مراتب متعددة وهي :الشك في المعارف الحسية ثم الشك في المعارف العقلية الأولية ثم في النهاية الشك في الواقع كله على الإطلاق وما يتصل بذلك من حجة المنام [33]

[30] أبو حامد الغزالي ، ميزات العمل ، حققه وقدمه سليمان دنيا ، دار المعارف ، ط1 ، 1964، مصر ، ص 403.

[31] محمود حمدي زقزوق ، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت ، مرجع سابق، ص 84.

[32] أبي حامد الغزالي ، الاقتصاد في الاعتقاد ، دار السعادة ، ط2، 1962، مصر ، ص7.

[33] محمود حمدي زقزوق ، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت ، مرجع سابق، ص 86.

ومنه نعرض مراحل الشك عند الغزالي :

1 الشك في المعارف الحسية :

لقد تحدث الغزالي في معيار العلم عن خداع الحواس وأتى بأمثلة عن ذلك منها أن الحواس تدرك الشمس على أنها قرص صغير جدا وتبدو لها الكواكب بأنها دنانير منثورة على بساط ازرق في حين أن العقل ببراهينة يرها أكبر من الكرة الأرضية وان الكواكب اكبر مما تبدو لنا ...[34]

ولما رأى الغزالي ما تنطوي عليه المعارف الحسية من خداع وشكوك فقرر رفضها ويقول في هذا الصدد: "من أين الثقة بالمحسوسات " وأقواها حاسة البصر وهي تنظر إلى الظل فتراه واقفا غير متحرك وتحكم بنفي الحركة

ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف انه متحرك وانه لم يتحرك دفعة بغتة بل على التدريج ذرة ذرة، حتى لم تكن له حالة وقوف، وتنظر إلى الكوكب فتراه صغيرا في مقدار دينار،ثم الأدلة الهندسية تدل على انه اكبر من الأرض في المقدار هذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس بإحكامه ويكذبه حاكم العقل ويخونه تكذيبا لا سبيل إلى مدافعته، فقلت قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضا .[35]

وبالتالي بالتجربة يستوضح أن المعرفة الحسية خاضعة لأوهام وخيالات وخاصة حاسة البصر فهي باختصار معرفة تنخدع بما يظهر لها، حيث ترى عن بعد أن الشيء صغير الحجم في حين لو اقتربت اكتشفت انخداعها به بأنه كبير الحجم.

[34] أبي حامد الغزالي ، معيار العلم في المنطق ، لمترجمه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، 1990، بيروت – لبنان ، ص 64.

[35] أبي حامد الغزالي ، المنقذ من الظلال ،حققه وقدمه جميل صليبا وكامل عياد ، دار الأندلس ، بيروت –لبنان ، ص 71.

2 الشك في المعارف العقلية:

ويتحول الغزالي عن المعارف الحسية ليبحث في المعارف العقلية الأولية، فأراد أن يختبر مصداقية المبادئ العقلية التي تبدو في أول الأمر إنها لا يمكن أن تتعرض للشك على الإطلاق وهذا ما يعنيه الغزالي حين تساءل:من يستطيع جادا أن يشك مثلا في الحقائق الرياضية والمنطقية مثل العشرة أكثر من الثلاثة وان الشيء لا يمكن أن يتصف بصفتين متضادتين في وقت واحد...[36]

ويتضح أن الغزالي كان يصدق المعارف الحسية لولا تدخل العلاقات التي بدورها هي الأخرى وضعها موضع الشك وذلك بمساعدة تأملات خارجية انحت بوجود حاكم أخر إذا تجلى كذب العقل في حكمه، ويصور الغزالي ذلك قائلا: فقالت المحسوسات بم تؤمن ان تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات وقد كنت واثقا بي، فجاء حاكم العقل فكذبني، ولولا حكام العقل لكنت استمر على تصديقي ولعل وراء إدراك العقل حاكما أخر إذا تجلى كذب العقل في حكمه وعدم تجلي ذلك الإدراك لا يدل على استحالته .[37]

ومن هنا يبدو أن الشك قد اتسع نطاقه إلى مدى أوسع ليشمل الواقع كله بما في ذلك من حجة المنام.

3 الرؤية : امتد الشك إلى التأمل في ظاهرة الرؤيا، والحجة التي تشك هنا في الواقع كله تتخذ من ظاهرة الرؤيا منطلقا، وتظهر عند الغزالي في الصورة التالية :وأيدت المحسوسات إشكالها بالمنام وقالت :أما تراك تعتقد في النوم أمورا وتتخيل أحوالا، وتعتقد لها ثباتا،

[36] محمود حمدي زقزوق ، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، مرجع سابق ، ص88.

[37] أبي حامد الغزالي ، مجموعة رسائل الغزالي ، وضع حواشيه وخرج أحاديثه وقدمه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط1، 1982، بيروت – لبنان ، ص28.

واستقرارا ولا شك في تلك الحالة فيها، ثم تستيقظ فتعلم انه لم يكن لجميع متخيلاتك أصل وطائل .[38]

فالغزالي هنا يتأمل في حالة الرؤيا، حيث تنخفض فيها قدرة الإنسان على المعرفة، فالوعي يصبح خاضع لإحداث الرؤيا من تخيلات معتقدا أنها حقائق، وبعد استعادة وعيه في حالة اليقظة يكتشف أنها مجرد خيالات وأوهام .

ما دفع الغزالي التساؤل على لسان المحسوسات عما إذا كانت هناك حالة تعلو حالة اليقظة المعروفة، حالة يقظة جديدة تكشف بدورها أن حالة اليقظة الحالية ليست إلا خيالات . فقد كان سابقا أن الشك في المعارف العقلية الناتج عن خداع الحواس وكان هناك أيضا احتمال وجود درجة أخرى للمعرفة فوق العقل إذا تجلت كذبت العقل في حكمه

ولان حالة اليقظة الجديدة لا تحمل معها تبرير ميتافيزيقي لها فيمكن التفكير ثانية في حالة يقظة جديدة فوقها تعلوها وحالة أعلى منها وهكذا إلى مالا نهاية.[39]

4 -الشك الميتافيزيقي

ويقصد الغزالي بالشك الميتافيزيقي ما يتضمن افتراض تزويد الإنسان بعقل زائف، واضلاله من قبل اله مضل وقد رأى أن الشك يمكن أن يحدث بالانخداع عن طريق السحر. معرفا بذلك العلم اليقيني قائلا : الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا، لم يورث ذلك شكا وإنكارا، فاني إذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة ، فلو قال لي قائل : لا بل الثلاثة أكثر بدليل إني

[38] أبي حامد الغزالي ، مجموعة رسائل الغزالي، مرجع سابق ، ص72.

[39] محمود حمدي زقزوق ، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، مرجع سابق ، ص 89-90.

اقلب هذه العصا ثعبانا، وقلبها ، وشاهدت ذلك منه ، لم اشك بسببه في معرفتي، ولم يحصل لي منه إلا التعجب عن كيفية قدرته عليه : فأما الشك فيما علمته فلا.[40]

ويري الغزالي أن اليقين الحقيقي هو من يصمد أمام الشك الميتافيزيقي وان لا يتأثر بأي شيء ولو كانت معجزة نبوية .[41] كما نجد الغزالي يتحدث عن الإله الذي يضل عباده حيث يشير الغزالي في حواره مع احد إتباع الباطنية إلى سؤال إظلال الله لعباده فيقول :وسؤال الإظلال وعسر تحرير الجواب عنه مشهور.[42]

وفصل الغزالي حديثه عن النبوة والمعجزات النبوية قائلا:...إنهم راو الله تعالى بأعينهم وسمعوه بأذانهم وهو يقول : هذا رسولي ليخبركم بطريق سعادتكم وشقاوتكم، فما الذي يؤمنكم انه أغوى الرسول والمرسل إليه فيما نعلم صدقه ، فلعله يلبس علينا ليغوينا ويهلكنا .

وكان الحل الذي صاغه الغزالي للإجابة على هذا الإشكال أن الكذب لا يمكن أن يصدر من الله.[43]

وبذلك يكون الشك المطلق عند الغزالي لم يلمس العقل والمعارف الحسية وحجة الرؤيا فحسب، بل هناك عامل أقوى استند إليه هذا الشك مشيرا إلى نوع أخر من المعرفة بعد الموت الذي يعلو غيره من أنواع المعارف فقد تفرد الغزالي بهذه الفكرة الأخيرة التي تعتمد على اشتغاله بالتصوف .وبعد عرضنا بالتفصيل تجربة الغزالي للشك بكل نتائجه يتوصل الغزالي إلى حل للتغلب على هذا الشك الشامل لتأسيس المطلق للعقل.[44]

---

[40] أبي حامد الغزالي ، مجموعة رسائل الغزالي ، مرجع سابق ، ص 69.

[41] أبي حامد الغزالي ، محك النظر، دار الكتب العلمية ، 1966 ، بيروت ،ص 55.

[42] أبي حامد الغزالي ، مجموعة رسائل الغزالي ، مرجع سابق ، ص116.

[43] أبي حامد الغزالي ، مجموعة رسائل الغزالي، مرجع سابق ، ص102.

[44] محمود حمدي زقزوق ، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت ، مرجع سابق ،93-94.

حل الغزالي :

يخبرنا الغزالي في الحل الذي وصل إليه كيف عادت ثقته في الحقائق العقلية الأولية، فالأمر هنا يدور حول معرفة حدسية فيقول: ومن مارس العلوم يحصل على طريق الحدس قضايا كثيرة ، لا يمكنه إقامة البرهان عليها، ولا يمكنه أن يشك فيها ولا يمكنه أن يشرك فيها غيره بالتعليم، إلا أن يدل الطالب على الطريق الذي سلكه وانتهجه .[45]

وهذه المعرفة الحدسية لا يبلغها إلا من كرس نفسه في سبيلها، فهي نور يقذفه الله في صدورنا ويكشف لنا من خلاله يقين الحقائق المعرفية وحصولها على التأسيس المطلق ما يعني ان الغزالي يجد تأسيس الحقائق في الله إذ أن الحل قد حدث عن طريق النور وهو غالبا صورة في التصوف حيث يرى الغزالي أن معرفة الله تحدث بواسطة هذا النور ويتجلى ذلك في قوله: ... ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه من الخبائث.[46]

وهذا النور المرسل من الله هو عبارة عن تصوير لعقل الإنسان عندما يتطهر ويتحرر من كل تدخلات الحس والوهم. ويخص الغزالي العقل قائلا: أنموذج من نور الله تعالى أي يستمد العقل نوره من الله. لان الله وحده يسمى نورا بالمعنى الحقيقي كما وضح الغزالي.

ولهذا الغزالي لأجل أن يصل إلى الحقيقة[47] سلك سبيل المعرفة الذوقية عن طريق القلب فكانت الصوفية حلا بالنسبة للغزالي للخروج من شكوكه.

---

[45] ابي حامد الغزالي ، معيار العلم في المنطق ، شرحه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، ص 192.

[46] محمود حمدي زقزوق ، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت ، مرجع سابق ، ص108.

[47] أبي حامد الغزالي ، مشكاة الأنوار ، تحقيق أبو العلا عفيفي ، 1964 ، القاهرة ، ص 44.

وقد علق زكريا بشير إمام عن التصوف قائلا: انه نور قذفه الله في قلبه، وان ذلك النور هو من جود الله ورحمته، وأنها تمثل أعظم مفاتيح العلوم وإنها هدته إلى الوثوق بالعقل وبإحكامه الضرورية، وإنها أنقذته من الشك والضياع وشفته من داء السفسطة المهلك.

ونلاحظ أن الغزالي استخلص أن هناك حقائق يقينية أعلى من العقل البشري ندركها عن طريق التصوف فقط.[48]

المبحث الثالث: الشك في الفترة الحديثة :

لقد عرف ديكارت بأنه أول الفلاسفة المحدثين ولقب بأبو الفلسفة الحديثة[49] فبدأ يشك في قيمة المعرفة نظرا للفترة التي عاش فيها من تفشي مذهب ألا أدريين أو الشكاكين، فسعى باحثا عن مبدأ يقيني لا يكون موضع الشك فكان النقد أول خطوة نحو الشك[50] ونتيجة تناقض المذاهب وتعارض النظريات والأفكار أدى إلى الشك في صحتها ، ونجد اختلاف مفهوم الشك في اللغة اليونانية عنه في العصر الحديث فقد كان يعني لدى اليونان البحث والتنقيب ...، ثم تغير معناه حتى وصل الشك التام أو الارتيابي الذي ينكر إمكان المعرفة أو غياب اليقين العلمي.....

ومنه نجد أن فلسفة ديكارت كانت ثورة على كل ما هو عقيم دون تبصر ، أو جامد لا حياة فيه[51] مستهدفا بذلك التخلص من الأفكار السابقة واليقين الزائف الذي ترسب عن تربية خاطئة[52].

---

[48] زكريا بشير إمام ، الفلسفة النورانية عند الغزالي ، مكتبة الفلاح ، 1989، الكويت ، ص 89-91.

[49] عبد الوهاب جعفر ، أضواء على الفلسفة الديكاريتية ، 1990، الإسكندرية ، ص118.

[50] مهدي فضل الله ، فلسفة ديكارت ومنهجه ، دار الطليعة ط 3 ، 1996 ، بيروت –لبنان ، ص 88.

[51] ابراهيم مصطفى ابراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ،دار الوفاء ، 2001، الإسكندرية ، ص68- 85.

[52] عبد الوهاب جعفر ، مرجع نفسه ، ص 55.

ما دفع ديكارت إلى اصطناع شكه المنهجي هذا رغبة منه في التوصل إلى اليقين العقلي ، وجعل من الشك أداة للنقد وأسلوب للتمييز بين الصواب والخطأ، فذهب مشككا في المحسوسات ثم المعقولات ومضى في شكه إلى نهايته إلى غاية أن يحطم الشك نفسه[53]

فقد بدأ شكه في الحواس ورأى أن بطبيعة تركيبها خادعة لا تتؤمن فيما تنقله إلينا من علم فلا تستثنى شيئا حتى ما يبدوا منها بديهيا لا يحتمل الريب[54] حيث يقول ديكارت : " إذن فأنا أشك في الحواس لأنها خدعتني أحيانا ولعلها تخدعني دائما ، وليس الحكمة الاطمئنان إلى من خدعنا ولو مرة واحدة "

فقد شك أولا في المعرفة الآتية عن طريق الحواس الظاهرة ورفضها كمصدر للمعرفة لأنها لا تنقل لنا بأمانة كل ما هو عليه الشيء بالتمام ،حيث لاحظ ديكارت بأن مريض اليرقان تخدعه عيناه دائما ، فيرى كل شيء أصفر اللون وأننا ننظر إلى الشمس فنراها في غاية الصغر كحجم الدينار في حين أنها أكبر من الأرض بأضعاف ولم يقتصر شكه على المعرفة المتأتية من الحواس الظاهرة فقط وإنما تعداه إلى الحواس الباطنة .[55]

فشك في المعرفة الحاصلة عن طريق الأحلام فيرى أن نفس الأفكار تخطر لنا في النوم واليقظة على السواء ، فلا نجد علامة محققة للتمييز بين الحالتين[56] أي أن ديكارت شك في قيمة المعرفة ونحن مستيقظين على أساس أن نفس الأفكار التي نراها في اليقظة نراها في الحلم فمن يضمن لنا أيا منهم الصادق وأن كلاهما مجرد أوهام وهكذا يكون ديكارت قد شك في المعرفة الحسية الظاهر منها والباطن .

[53] توفيق الطويل ، أسس الفلسفة ، مكتبة النهضة، ط3 ، القاهرة ، ص 245-246.

[54] زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة الحديثة ،1936 ، القاهرة ، ص98.

[55] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، مؤسسة هنداوي لتعليم والثقافة ، القاهرة ، ص 84.

[56] مهدي فضل الله ، فلسفة ديكارت ومنهجه، مرجع سابق ، ص 88-89.

ثم ذهب ديكارت إلى الشك في العقل فرأى أن استدلالات العقل تختلف من شخص إلى آخر فيما يتعلق وقوع بعض الناس في الخطأ في استدلالاتهم وعدم وقوع غيرهم [57]ولكنه افترض وجود شيطان خبيث يعمل على تظليله بكل ما في وسعه من حيل[58] فتوصل من خلال ذلك أن هذا الشيطان الماكر يؤثر في فكرنا لدرجة الخداع حتى في الحقائق والبديهيات ولكن ديكارت تفطن إلى أن هناك شيئا واحد كفيل لإنقاذه من شكه وهو وجوده ككائن يشك ويفكر حيث يقيني بأني موجود من خلال حالات الشك أتيقن من وجودي ككائن حقيقي ، حتى الشيطان الماكر لا يمكنه أن يشككني في ذاتي ، وبهذا حقق ديكارت قضيته الشهيرة ما يعرف ب الكوجيتو:" أنا أفكر إذن أنا موجود "[59]ويقصد بالفكر هنا كل العمليات العقلية التي يمكن لإنسان ممارستها " فأنا أفكر" تعني عند ديكارت أنا أحس ، أنا أدرك ،أنا أنفي ،أنا أرغب، أنا أشك ، أنا أعتقد ونحو ذلك.....[60]

ومن هنا وصل ديكارت إلى حقيقة أولية مفادها، بأنه لا مجال للشك على الإطلاق في حقيقة وجوده كإنسان يشك ويفكر فهو يقول : "كلما شككت ازددت تفكيرا فازددت يقينا بوجودي " وبنظر ديكارت أن كل ماله خصائص " الكوجيتو" من الوضوح والتمييز فهو صادق صدقا مطلقا [61].

وهكذا وضع قضية " أنا أفكر أنا موجود" وأتخذها أساس قيام فلسفة بأكملها ، فمن وجود نفسه أثبت وجود الله ، ومن وجود الله أثبتت وجود العالم الخارجي .[62]

---

[57] مهدي فضل الله ، فلسفة ديكارت ومنهجه ، مرجع سابق ، ص 90.

[58] توفيق الطويل ، أسس الفلسفة ، مرجع سابق ، ص 246.

[59] ابراهيم مصطفي ابراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، مرجع سابق ، ص 86.

[60] إميل بوترو ، فلسفة كانط ، ترجمة –عثمان أمين ، الهيئة المصرية العلمية للكتاب ، 1972 ، القاهرة ، ص40-41.

[61] مهدي فضل الله ، فلسفة ديكارت ومنهجه ، مرجع سابق ، ص 92-37 .

[62] زكي نجيب محمود ، ، قصة الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ، ص 99.

الفصل الثاني : أبواب الشك وأصناف الريبية عند دافيد هيوم:

المبحث الأول: المعرفة.

المبحث الثاني : سيكولوجيا الاعتقاد.

المبحث الثالث: أصناف الريبية

الفصل الثاني : أبواب الشك وأصناف الريبية عند دافيد هيوم:

المبحث الأول: المعرفة.

المطلب الأول : الشك في الأفكار الذهنية:

تتمثل فلسفة دافيد هيوم، الفيلسوف الانجليزي التجريبي، في انتزاع النتائج المنطقية التي كانت عليها فلسفة أسلافه "لوك وباركلي"، إذ رفض وجود أفكار فطرية في العقل، فالشك هو الخاتمة التي انتهى إليها المذهب التجريبي الذي قام في انجلترا والذي غدا موقفا محيرا في ضوء اكتشافات ذلك العصر ما أوقع هيوم في أرجوحة الشك بين المادية والمثالية، لم يلغ احدهما كما فعل باركلي الذي شك في وجود العالم المادي، ولم يلغ، الاثنين كما فعل كانط، فالشك عند هيوم موروث ديكارتي استخدمه للقضاء على مخلفات الفكر الفلسفي الوسيط[1] .

فقامت فلسفة هيوم على أساس من الانطباعات الحسية وارتباطاتها حيث الانطباع هو الخبرة الفورية التي يمر بها الفرد حين يدرك شيئا بحواسه أو حين يعيش حالة انفعالية معينة، وعن طريق ما تخلفه الانطباعات من صور ذهنية وذكريات تتكون الأفكار، ومنه يرجع هيوم كل شيء إلى التجربة وينكر كل فرضية إخبارية أو عبارة متعلقة بالعالم لا ترد إلى الانطباعات الحسية[2].

والانطباع في رأي هيوم، يبدأ من التجربة الحسية، وهو يذكر أن الانطباعات تنتج أفكارا تختلف عن التجربة الحسية في أنها اقل منها حيوية، فالأفكار نسخ باهتة من الانطباعات التي لا بد أن تكون قد سبقتها في وقت ما في التجربة الحسية[3].

---

[1] أيوب أبودية، العلم والفلسفة الأوروبية من كوبرنيق إلى هيوم ، دار الفارابي ، ط1 ، 2009، بيروت لبنان ، ص229.

[2] يمنى طريف خولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، مؤسسة هنداوي لتعليم والثقافة ، ط2 ، 2014، القاهرة –مصر ، ص119.

[3] برتراند راسل، حكمة الغرب، ترجمة فؤاد زكرية ، ج2 ، 1983، 99.

وهذا ما يوضح الفرق بين كل من حالتي الانطباع الحسي المباشر وحالة الفكرة التي تتخلف عنه، إذ يكمن الفرق في النصوع والوضوح. مثلا إدراك الحرارة ساعة لسعة الجلد بالشيء الحار ويبين إدراكها عندما نستعيد ذكرى ما قد حدثت فالثانية هي صورة من الأولى لكنها لا يمكن أن تبلغ مبلغها في الوضوح. إذن الفرق واضح بين إحساسي بالشيء وانأ على صلة مباشرة به وبين صورته أستعيدها في ذهني كذكرى فقط، ومنه يمكننا تقسيم ادراكاتنا العقلية على أساس الوضوح، قوة الأثر إذ تظهر درجة التفاوت جلية عندما نطلق اسم "الانطباعات" على أكثرها وضوحا وقوة واسم أفكار على اقلها وضوحا وأضعفها[1].

كما يفرق هيوم بين أفكار الذاكرة وأفكار الخيال، فأفكار الذاكرة أقوى لأنها تقف عند حدود التجربة، في حين أفكار الخيال لا تتقيد بذلك مما يؤدي وقوعها في الخطأ، حيث يقول هيوم:"أن العقل أيضا مجرد وهم لا وجود له، فلا مادة هناك ولا عقل، إذا أن التجربة هي المصدر الوحيد لعلمنا..."

من خلال ذلك يعني هيوم بقوله هذا أن كل أفكارنا صادرة عن التجربة . وانه ليس لدينا أفكار فطرية، ولم يعد هناك دور فعال للعقل سوى التذكر وإعادة تركيب الصور الحسية[2]

ويلزم عما أسلفناه أن الفكرة في رؤوسنا علما أن تكون بسيطة أو مركبة والبسيطة هي التي لا يمكن تحليلها أي تكون صورة مختلفة عن انطباع واحد معين. مثلا عن فكرة اللون الأصفر أما الفكرة المركبة فهي التي يمن تحليلها إلى عناصر بحيث يكون كل عنصر صورة بسيطة متخلفة عن انطباع حسي معين مثلا كفكرتي عن "البرتقالة" يمكن تحليلها إلى لون وطعم ورائحة وشكل...[3] .

[1] دافيد هيوم، رسالة في الطبيعة البشرية،ترجمة وائل علي سعيد ، ج 2 ، 2008 ، دمشق ، ص 107.

[2] أيوب أبو دية، العلم والفلسفة الأوروبية من كوبرنيق إلى هيوم، مرجع سابق، ص231-232.

[3] دافيد هيوم، رسالة في الطبيعة البشرية ، مصدر سابق، ص108.

ومنه نخلص إلى أن هيوم اعتنق الاتجاه التجريبي الذي يرد كل معارفنا إلى التجربة، الأمر الذي دفعه إلى الاعتقاد بعدم وجود معرفة يقينية فسلك المنهج الشكي ليوضح لنا أهمية تحليل أفكارنا وتمحيصها للتحقق من مصداقيتنا[1].

المطلب الثاني : العلاقات:

ينظر هيوم إلى أفكاره فيراها دائمة الاتصال والانفصال بعضها مع بعض وقوة الخيال هي التي تقوم بربط هذه الفكرة بهذه أو بتلك، ويستحيل أن تكون المصادفة وحدها هي التي تعمل على ربط أشتات الأفكار المفككة التي تصل إلى الذهن، بل لابد أن يكون هنالك أساس لربط الأفكار، وقاعدة تتصل بمقتضاها فكرة بفكرة أخرى ويقول هيوم أن لذلك التداعي بين الأفكار أو المعاني أسساً ثلاثة: التشابه والتقارب الزمني أو المكاني، ورابطة العلة بالمعلول[2]. وهذه القوانين التي تنشا منها العلاقات وهي قوانين أولية للذهن تعمل فيه دون تدخل منه، و هيوم يزيد على لوك أن ليس للذهن فعل خاص في المضاهاة والتركيب والتجريد التي هي وسائل تكوين المعاني ويقصر وظيفة الذهن على مجرد قبول الانفعالات فتحصل منها المعاني او الأفكار وصولا آليا بموجب قوانين التداعي، والعلاقات المؤلفة للعلوم نوعان:

علاقات بين انفعالات قائمة في أن بعض الانفعالات علل والبعض الاخر معلومات، كما هو الحال في العلوم الطبيعية ، وعلاقات بين معاني وهي التي تتألف منها الرياضيات، فيتعين النظري كل من هذين النوعين.

حيث يميز هيوم بين أفكار الدائرة والخيال ويرى أنها تختلف عن بعضها البعض من زاويتين هما: أن أفكار الذاكرة تكون عادة أكثر حيوية ومقيدة بنفس النظام والشكل مثل الانطباعات

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، مرجع سابق ، 326.

[2] زكي نجيب محمود، قصة فلسفة الحديثة ،1936 ، القاهرة، ص 236.

الأصلية ، في حين أفكار الخيال تكون أكثر خصوصا وكثيرا ما تحيد عن النظام وشكل الانطباعات التي استمدت منها. إن كلا الأفكار البسيطة قد تنفصل عن طريق الخيال وتتحد مرة أخرى في أشكال أخرى، ويتم ذلك عن طريق تداعي الأفكار إذ يمكن للذهن بمبادئه الخاصة أن يقارن بين أفكاره بطرق أربع إضافية ويجد أن يتخيل وجود علاقات بينها، ومنه توجد أنواع سبعة من العلاقات الفلسفية هي: التشابه، عندما يكون التشابه بين فكرتين، والهوية عندما تتوحد الأفكار التي نستقبلها في وقت ما مع تلك الأفكار التي نستقبلها في وقت أخر من حيث أنها خصائص بموضوع دائم.

ويقدم لنا المكان والزمان عددا لا حد له من المقارنات مثل"بعيد ومجاور" ،"فوق وتحت"،"قبل وبعد"، وعلاقة الكم والعدد التي أدت إلى نشأة الرياضيات، وعلاقة درجات الكيف كما في الأثقال ودرجات اللون ... ،وعلاقة التضاد، كما هي الحال عندما نفترض أن فكرة ما موجودة أو غير موجودة وعلاقة العلة والمعلول. ويمكن تبرير جميع العلاقات الفلسفية لتميزها بانطباعات حسية مباشرة على خلاف علاقتي الهوية والعلة والمعلول اللتين وجدهمها هيوم أنها أكثر صعوبة وإثارة للمشكلات[1]. وقد اعتبر الفكر الأوروبي العلية مشكلة واجهته على صعيد المنهج العلمي والطريقة العلمية، فقد انصبت جهود دافيد هيوم لمناقشة مشكلة العلية وتسجيل ملاحظاته عنها مستهدفا من ذلك تصحيح النظرة إلى طبيعة العلية وتفسيرها وفق تصوره التجريبي فقد رفض أن العلية مبدأ فطري أو تصور قبلي في العقل الإنساني وأعلن أن مبدأ العلية مبدأ تجريبي يستمد قوته من الخبرة الإنسانية [2]. وقد خطا هيوم الخطوة التالية في فضح العلية المتعارف عليها بالحس المشترك ففي فصوله عن "فكرة الرابطة الضرورية" في كتابه " رسالة في الطبيعة البشرية"و"مقالاته" على حد سواء، يمضي هيوم

[1] ويليم كلى رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة ، تر: محمود سيد أحمد ، التنوير ، ط1 ، 2010، بيروت–لبنان، ص209،210.

[2] عبد الزهرة البندر، منهج الاستقراء في الفكر الإسلامي، دار الحكمة ، ط1 ، 1992،الإسكندرية، ص219،220.

ليبين أن فكرة الارتباط المزعومة التي لدينا ليست إلا تفسيرا سيئا للعادة العقلية، فعندما نتمرس أحيانا كثيرة بنفس تتابع الأحداث تحملنا العادة عند ظهور الحادث الأول إلى توقع ما يقترن به عادة، والى الافتقاد في انه سيحدث هذا الانتقال المعتاد للخيال هو الشعور او الانطباع الذي نشكل منه فكرة القوة أو الرابطة الضرورية وليس ثمة ما هو أكثر من ذلك في هذه الحالة [1].

ومنه يرجع هيوم العلية إلى التشابه والاقتران حيث نرى شيئا ما كلما وقع تلاه شيئا أخر فيذكرنا وجود الأول وهو العلة بالثاني وهو المعلول أي أن الناس قد شاهدو ظواهر يتبع بعضها بعضا فتؤدي بهم إلى الاعتقاد بان السابق علة اللاحق، واقترنت فكرة العلة بفكرة المعلول اقتران المتضايقين وهذا سبب " الضرورة" في قانون العلية[2]. ما دفع هيوم إلى قوله:"أن معرفة هذه العلاقة لا تتحصل بأي حال، من تعليلات قبلية بل تتولد بأسرها من الخبرة حيث نجد أن أشياء معينة تترافق بعضا مع بعض بشكل مستمر".

ضاربا بذلك مثال عندما نقدم شيئا ما بامرئ على أتم ما يمكن من قوة المشكل والاستعداد، فان كان الشيء جديدا كل الجدة بالنسبة إليه فانه سيعبر عن اكتشاف اي سبب من أسبابه عن طريق تفحص خاصياته الحسية بأكبر قدر من الدقة قادم على افتراض تمامية كمال ملكاته العقلية منذ لحظته الأولى، لم يكن يستدل من سيوله الماء وشفافيته على انه قد يخنقه ولا من ضوء النار وحرارتها على أنها قد تحرقه، فليس ثمة شيء يكشف بخصائصه التي تظهر لحواس لا عن الأسباب التي تحدثه ولا عن المسببات التي يتولد منها ولا يمكن للعقل ان يكتشف الأسباب والمسببات دون مساعدة الخبرة إذ يجب أن نعي ما نحن فيه من منتهى العجز عن التنبؤ بما سيحصل عن أشياء كانت ذات مرة مجهولة لدينا كليا، حيث يمكنك تقديم قطعتين من الرخام المصقول إلى امرئ ليس لديه أي فكرة عن فلسفة

[1] وليام جيمس، بعض مشكلات الفلسفة ، تر: محمد فتحي الشنيطي ، المؤسسة المصرية العامة، ص164،165.

[2] توفيق الطويل، أسس الفلسفة، مرجع سابق ، ص277.

الطبيعة فانه لن يكتشف البتة أن القطعتين ستلتصق الواحدة منها بالأخرى بحيث يتطلب فصلهما، مواجهة كثيرا من القوة في حين ستبديان مقاومة اقل بكثير فيما لو دفعناهما جانبيا ومن السهل أيضا بان إحداثا ذات شبه قليل بمجرى الطبيعة العامي تعرف بالخبرة وحسب[1].

إذ يرى هيوم أن فكرة ارتباط العلة بالمعلول لا يمكن أن تكون قد نشأت من باطن النفس لأننا قررنا أن ليس لدى الإنسان أفكار فطرية تولد منه، وكل علمه مكتسب من التجارب وعن طريق الحواس وكذلك لا يمكن أن تكون بديهة تفرض نفسها على العقل فرضا لان المعلول مختلف عن علته كل الاختلاف. فمهما أمعنت في تحليل العلة والمعلول الذي ينشا عنها. لما وجدت أن هذا متضمن في تلك، فان كرة البليار دولار تكاد تمس الكرة الأخرى حتى تبدأ هذه في حركة الأولى ما يستدعي الحركة في الثانية فمن ذا الذي أوحى إلى الإنسان ان يفرض بان هذه علاقة ضرورية لازمة الحدوث باعتبار الأولى سببا والثانية مسببا، ان كل ما يراه الإنسان بحواسه من هذه الحادثة أحساسان متعاقبان كرة أولى تتحرك، ثم كرة ثانية تتحرك ولم تقدم له الحواس علاقة بين الحركتين ولكنه مع ذلك تخطى حواسه وزعم أن بين الاحساسين علاقة علة بمعلول وان هذه العلاقة ضرورية محتمة الحدوث ولكن هذا التتابع مهما اطرد فهو تتابع فقط، ولا يمكن أن يفهم منه أن الحادثة الأولى سببت الحادثة الثانية وأوجدتها[2]، مثلا تعاقب الليل والنهار لا يعني بالضرورة أن احدهم سبب حدوث الاخر، فاذا تلازم الوقوع وتلازم الغياب لا يعني حتمية هذا التلازم إلى الأبد، وقد قال هيوم عبارته الشهيرة :"بان العقل عيد للرغبات، وهي التي تسيطر عليه وتسيره" معبرا بذلك أننا نرغب بان يكون للأسباب سبب، ونريد ان يكون سبب الأسباب هو الله حتى نطمئن. وهذا الوهم حسب هيوم ناتج عن رغبتنا الجامحة بان نخدع، فنخدع أنفسنا بالصلة الضرورية

[1] دافيد هيوم، تحقيق الفاهمة، تر: موسى وهبة ، دار الفارابي ، ط 1 ، 2008 ، بيروت – لبنان ، ص 52،53.

[2] زكي نجيب محمود، دفيد هيوم ، دار المعارف ، 1958، مرجع سابق، ص240، 238.

بين الأسباب ويرى ان العلوم أيضا تخدعنا حين نرتاب بكل شيء غير تجريبي ميكانيكي وان كل شي عداها قابل للارتياب ما جعل"هيوم" يدخل باب الريب من الباب الواسع.

آما بخصوص إرجاع كل شيء على الإلوهية حتى نطمئن أو حين نتعب من متابعة البحث فنلاحظ انه قياس منطقي وليس وهما ناتجا عن رغبتنا[1].

وكاستنتاج علمي نتطرق إلى شوكة هيوم (Hume's farh) تعبير أطلقة الفلاسفة على تقسيمه للمعرفة إلى فئتين منفصلين : الأولى تختص بمسائل الواقع والوجود الحقيقي

(matters of fact) وتعني الأمور المتعلقة بالواقع وقدرتنا على اختبار وجودها كأن أقول باب الغرفة مغلق ، هنا كل ما علينا فعله هو التحقق من باب الغرفة إذا كان مغلق أم لا لنرى مدى صحة تلك الجملة أما الفئة الثانية تختص بالعلاقات بين الأفكار (relations of ideas) أي أمور لها علاقة بعالم الفكر فقط، فهي قضايا تبحث في ربط العلاقات الضرورية بينها ويمكن تصديقها بنحو برهاني يقيني من دون الرجوع إلى الطبيعة كعلوم الهندسة أو الجبر والحساب والعبارات الرياضية أو المنطقية مثل 1+1 تساوي 2 هي قضية تعبر عن علاقة ضرورية بين عالم الأعداد ولا حاجة لنا أن ننزل لأرض الواقع للتأكد من صحتها لكونها قضايا قطعية وبديهية.[2]

[1] هاني يحى نصرى، دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة،، مؤسسة مجد، ط1، 2002 ، بيروت– لبنان، ص184، 185.

[2] Morris, William Edward and Charlotte R. Brown, "David Hume", The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Summer 2020 Edition), Edward N. Zalta (ed.), URL = https://plato.stanford.edu/archives/sum2020/entries/hum /

المطلب الثالث : مشكلة الاستقراء:

يعتبر أول من أثار مشكلة الاستقراء من الفلاسفة الاوررربيين الفيلسوف الاسكتلندي ديفيد هيوم(1711-1776م) الذي شك في قيمة القضية الاستقرائية[1]. فكان "هيوم" أول من أثار هذا الشك وحدد هذه المشكلة بوضوح،إذا رأى انه ليس هناك أي برهان منطقي أو تجريبي يدل على صدق الاستقراء أو يبرر الاعتماد عليه.وكيف يستطيع المرء أن يثق بأساليب الاستقراء أذا كانت القضايا العامة التي يقررها لا تشبه القضايا الرياضية التي تمتاز بأنها أكيدة ويقينه[2] .إذ تدور مشكلة الاستقراء حول أحد أسسه المسمى بمبدأ اطراد الحوادث في الطبيعة اي افتراض ان المستقبل سوف يشبه الحاضر و الماضي إذا اتفقت نفس الظروف المحيطة بظاهرة ما في المستقبل مع تلك الظروف المحيطة بحدوثها في الحاضر و الماضي،تدور المشكلة بمعنى أخر حول تحليل هذا الافتراض ما إذا كان يمكننا الاعتماد عليه أو ينبغي رفضه[3] .

ويقول "هيوم" في هذا الصدد متسائلا ما هو المبرر الذي يؤدي بنا إلى القول "بان الشمس سوف تشرق غدا " ويجيب "هيوم" بأن المبرر للاعتقاد بهذه القضية هو تكرر الشروق لمدة طويلة مما كون عادة عقلية تتوقع تكرر الحادثة في الغد قياسا على الماضي، وليس هناك من دليل منطقي لهذا التبرير

وإنما هو مبرر سيكولوجي يمكن اكتشافه بتحليل موسع لنفس علاقة العلة و المعلول التي كانت تشكل الأساس لاستدلالاتنا الخاصة بأمور الواقع.[4]

[1] عبد الزهرة البندر، منهج استقراء في الفكر الإسلامي،مرجع سابق ، ص134.

[2] محمود قاسم ، المنطق الحديث ومناهج البحث ، مكتبة الأنجاو، ط2 ، 1903، ص58.

[3] محمود فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي ، دار الجامعات المصرية ، 1977، الإسكندرية ، ص108.

[4] عبد الزهرة البندر ، منهج استقراء في الفكر الإسلامي، مرجع سابق ، ص196.

حيث يوضح "دافيد هيوم" مشكلة الاستقراء التي يحاول علاجها بان جميع الاستدلالات الخاصة بأمور الواقع ، مبنية على علاقة العلة و المعلول وهذه العلاقة هي العلاقة الوحيدة التي يمكن ان تتعدى الحواس وتنبئنا بموجودات وأشياء لا نراها ولا نشعر بها. فاذا سألت شخصا عن السبب في اعتقاده بأمر من أمور الواقع غائب عنه، فسوف يبادر الى تبرير اعتقاده بذلك عن طريق علمه بواقعة أخرى، ترتبط بذلك الشيء بعلاقة العلة والمعلول فيقول مثلا، إني اعتقد بان فلانا مريض، لأني رأيت الطبيب يدخل الى منزله او لأنه كان بالأمس مزمعا على تناول طعام مضر فادى الى مرضه وإذا رأينا شخصا يقتحم النار محاولا الانتحار، نستنتج انه سيحترق ويموت، لان بين اقتحام النار والاحتراق علاقة العلة والمعلول وما دمنا قد شهدنا العلة فمن الطبيعي أن نعرف المعلول[1].

ولنفهم مشكلة الاستقراء علينا الإشارة إلى صورة الاستدلال الاستقرائي إذ يتلخص في الانتقال من قضايا جزئية تشير إلى وقائع أو ظاهرات أو حوادث موضوع ملاحظتنا أو تجربتنا ونعتبرها مقدمات إلى قضية عامة تتضمن تلك الوقائع أو الظاهرات أو الحوادث وأمثالها مما قد يحدث في المستقبل ونعتبرها نتيجة . وبمعنى أخر في الانتقال من مقدمات تنطوي على الحكم وكل الحالات الجزئية المعبرة عن ظاهرة موضوع ملاحظتنا أو تجربتنا إلى نتيجة تنطوي على الحكم وكل الحالات الجزئية المعبرة عن تلك الظاهرة[2] .

أما مشكلة الاستدلال أو المشكلة القائمة في الاستدلال فهي انتقالنا من الجزء إلى الكل في الاستقراء، فمقدماتنا تشير إلى وقائع كانت موضوع خبرة فعلية، أما النتيجة فإنها تشير إلى ما سوف يحدث مما لم يقع تحت خبرتنا بعد، والحكم على هذه النتيجة بالصحة الكلية لان الحكم على المقدمات الجزئية المتدرجة تحت هذه النتيجة الكلية حكم صحيح وان كان فاسدا من الناحية الصورية وصدق القضية الجزئية لا يستلزم صدق القضية الكلية المتداخلة معه،

[1] محمد باقر الصدر ، الأسس المنطقية لاستقراء ، مؤسسة العارف ، ط1 ، 2008 ، بيروت – لبنان، ص85، 84.

[2] محمود فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، مرجع سابق ، ص109.

إذ نعتقد بصدق كثير من القضايا العامة التجريبية مثل النار تحرق المعادن تتمدد بالحرارة، الزرنيخ سام وهي نتائج عامة استقرائية وصلنا إليها بعد ملاحظات عديدة حاضرة وماضية نثبت صدقها في حالات مستقبلية ولقد ميز"ديفيد هيوم" بين القضايا المنطقية والقضايا الرياضية من جهة وقضايا الوقائع من جهة أخرى، فالقضايا الرياضية والمنطق صادقة صدقا مصدوقا لا استثناء فيه وتصور نقيضها. أما قضايا العلم والتعميمات الاستقرائية فهي قضايا تجريبية يتوقف صدقها إلى التحقيق التجريبي لها[1] .وبذلك انتهت التجريبية التي ناد بها "هيوم" إلى عدم إمكان المعرفة وإنكار التنبؤ بالمستقبل نتيجة إقصاء العقل من دور القدرة على التعميم ولهذا لم تصفر المحاولة التي أثارها "هيوم" عن حل لمشكلة الاستقراء فنقده للمشكلة أدى إلى الانتقال من التجريبية إلى اللا وثوقية وهو ينادي فيما يتعلق بالمستقبل بفلسفة الجهل تقول" أن كل ما عرفه هو أنني لا اعرف شيئا عن المستقبل".

ومن المعلوم أن الاستقراء هو أداة المعرفة العلمية للتنبؤ والتكهن بظواهر المستقبل وبذلك تكون التجربة التي مثلها "هيوم" قد أفرغت تلك المعرفة من أداتها، ولهذا خرجت بالشك[2].

المبحث الثاني: سيكولوجيا الاعتقاد.

المطلب الأول : الذات:

يفسر لنا هيوم اعتقادنا في الهوية الشخصية لذواتنا الخاصة تفسيرا سيكولوجيا، والسبب الذي يجعلنا نعتقد في الحقيقة الموضوعية للانطباعات الحالية بوجه عام هو أنها أكثر وضوحا من الأفكار، فنحن نقبل أفكارنا الخاصة بالذاكرة بوصفها استعادة حقيقية لانطباعات اختبرناها في الماضي، لأنها أكثر حيوية من أفكار الخيال ومنه فان أي انطباع لديه القدرة على نقل الحيوية إلى الفكرة التي ترتبط به ارتباطا وثيقا فهي تعتبر فكرة صادقة، وعلى

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، منطق الاستقراء، دار المعارف ، 1999، الإسكندرية، ص97، 98.

[2] عبد الزهرة البندر، منهج الاستقراء في الفكر الإسلامي ، مرجع سابق، ص197،198.

النحو الذي يراه هيوم أن نختلق هوية بين ادراكاتنا الخاصة بالتأمل ونعتقد بالتالي في اتصال ذوياتنا.

بالرغم من انه ليست لدينا معرفة بطبيعة الموضوعات أو بهويتنا الشخصية، كما ليست لدينا طريقة أيا كانت لاكتشاف العلل المجهولة مما تنشا عنه انطباعات حيث تضمن تفسير هيوم السيكولوجي لاعتقادنا في الوجود المتصل للموضوعات انه لابد أن تكون هناك قبل كل شيء ذاتا مستمرة وباقية تحتفظ بذكريات الماضي وتقارنها بانطباعات الحاضر، حتى تشكل ذلك النوع من العادات الموجودة في تداعي الأفكار، إذ أن نزعة هيوم الشكية تظهر جليا إذ بلغت للذات مبلغ الإنكار، فهو يرى انه من المستحيل أن نفهم استخدامه للذات دون افتراض انه كان يعتقد بوجود نوع من الوحدة والتنظيم والاتصال في ادراكاتنا لذلك فهو يشك في قدرة الفهم البشري في اكتشاف طبيعة الأشياء الحقيقية كما توجد في ذاتها مستقلة عن التجربة[1].

ومنه فسر هيوم العلية وفق تصوره التجريبي. فمفهوم العلية ناتج عن العادة وتوالي الخبرات الماضية، لهذا نجد الإنسان العادي في إنكاره لهذا المبدأ أو الشك فيه اضطرابا في سلوكه العلمي [2].

حيث يقوم العقل بإضافة الرابطة الضرورية بين العلة والمعلول عن طريق ما يصل إليه من أثار حسية، وذلك باستخدام العنصر السيكولوجي الذي يعتمد على مبدأ العادة ومبدأ التكرار للحوادث، كما يصف العلاقة بين المعرفة والوجود الذاتي أو الشعور بالذاتية، فنلاحظ أن علماء النفس المحدثين يفرقون بين الادراكات والإحساسات، وبناءا عليه يفرق هيوم بين نوعين من الإحساسات وهي:

1) ما يتعلق منها بالتفسير الطبيعي.

[1] ويليام كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص214،218.

[2] عبد الزهرة البندر، منهج استقرا في الفكر الإسلامي، مرجع سابق ، ص221.

2) ما يتعلق منها بالإحساس ذاته.

وقد اخذ "هيوم" بالتفسير الأول الأمر الذي يدفعك إلى التساؤل ما إذا كان مصدر المعرفة إلى الإحساسات أم العقل؟

ويجيب عليه هيوم إذ ينفي أن تكون الحواس هي مصدر المعرفة، كما ينفي ان يكون العقل هو الآخر مصدر المعرفة لان كل منه يمدنا أصل وصور للشيء الخارجي اي صورة لأصل خارج عنا، لذا لو كان العقل والحوادث وسيلتين لذلك الاعتقاد يلزم ان تكون النتيجة مستمدة من المقدمة وعلى ذلك يبقى لدينا الخيار هو الحل الذي يقوم باستدعاء المعرفة إلى عقولنا عن طريق مبدأ الذاتية الذي يقع بين الشيء المدرك وبين استدعاءه[1].

ويرى هيوم شي يفعل في الخيال ليس بملكه تكوين الأفكار إذ إنتاج الفكرة بواسطة الخيال ليس إلا إعادة إنتاج انطباع الخيال ومنه فان جوهر الفكر هو طغيان أو هو صدفة كما أن الطريقة التي يربط بها الخيال الأفكار يتم بلا تبصر، أي صدفة حيث نجد أن التداعي في مبادئه الثلاث الاقتران أو التناسب أو التشابه والسببية، يتجاوز الخيال إذ يختلف عنه ويؤثر فيه لذلك ترى أن الذات في الاعتقاد والسببية تتجاوز ما يعطيها إياه الفكر بإيمانها بها لم تراه ولا تلمسه. ما ساهم في تنظيم مبادئ التداعي الثلاث في منظومة فارضة على الخيال استدامة لم يحصل من ذاته ومن دونها قد لا يكون يوما طبيعة بشرية، ذلك أن الطبيعة البشرية في مبادئها تتجاوز الفكر ولا يتجاوز شيء الفكر في الطبيعة البشرية إذا التداعي قاعدة من قواعد الخيال والسببية وليس ناتجا لممارستها حرة أي أن التداعي قانون الطبيعة ولكل يتحدد بآثاره، لا بعلة مع ذلك ليس على الفلسفة كعلم للإنسان أن تبحث عن علة ينبغي أن تبحث عن معلولات، فليس ثمة علة للمبادئ.... وهذا التداعي حسب هيوم من حيث تأثيره له ثلاث أشكال[2] :

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، مرجع سابق ، ص328، 329.

[2] جيل دولوز، التجربة والذاتية– تر– أسامة الحاج، ، ط1، 1999، بيروت ، ص14.10.

1- أن تأخذ فكرة دورا بما أنها قادرة على تمثيل كل أفكار التي تقترن بها في الخيال بفعل التشابه .

2- أن اتحاد الأفكار بفعل الفكر يكتسب انتظاما لم يكن يمتلكه .

3- أن فكرة تقدم علاقة حيث

تأثير علاقة التباين في حالات الثالثة هو انتقال السهل من روح فكرة إلى أخرى[1] ويلاحظ هيوم أننا نعي كل لحظة ما نسميه ذاتنا بينما تبقى هيا ثابتة وبسيطة طوال حياتنا وطالما أنه ينكر وجود أي ذات أو روح تدرك انطباعات الأفكار فمن أي انطباع يمكن أن تستمد تلك الفكرة ؟

ونجد هيوم كثيرا ما يتفق مع كانط الذي اعتقد أن هناك نوعا من الأنا توجد وراء حالاتنا الذهنية على الرغم من أنها ليست في متناول فهمنا ولا نستطيع أن نتصورها على أنها جوهر وبناءا على هذا فإن هيوم كان متفقا في نزعته التجريبية الشكية سواء في القول بأن المعرفة البشرية معرفة الذات أو معرفي العالم الخارجي رغم أن كلاهما موجد.[2]

المطلب الثاني :الدين والأخلاق

أولا : الدين

تتحدث فلسفة الدين وهي البحث الفلسفي في مجال الدين عما يتعلق بشؤون الدين من نشأته، ضرورته،حقيقته،أهدافه إلى غيرها من المباحث الفلسفية المتعلقة بفلسفة الدين حيث البحث الفلسفي عن الدين كان يضرب بجذوره في عمق التاريخ، لكنه بمعناه الجديد وبالضبط بعد عصر التنوير حيث تبلور في اتجاهين متعاكسين :

1- البحث والتحليل العقلاني للدين بغية الوصول إلى الحقيقة .

2-البحث والتحليل العقلاني التوصيفي من دون بغية الوصول إلى الحقيقة ،بل ربما مع محاولة التشكيك في تلك الأسس والمبادئ .

---

[1] جيل دولوز ، مرجع سابق ، ص 14.

[2] ويليم كلي رايت ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ، 210.

وقد توسع نطاق مباحث فلسفة الدين وانتشرت بين الباحثين ولاقت إقبالا ورواجا كبيرا،وكان المفكر والفيلسوف الاسكتلندي ديفيد هيوم أحد الفلاسفة الذين ساهموا في هذا الجانب ،حيث كان له تأثير سلبي شكي في قضاء الدين ،إذ سعى إلى إثبات قضايا الدين من خلال الاستدلال العقلي التجريبي،مما أدى إلى وقوعه في فخ الشك وإنكار بعض الأدلة مما تطرق إليه في مباحث مسألة العلية و مسالة الإلهيات وأدلة إثبات وجود الباري، ومسألة الشرور وخلود النفس والمعجزات، هذا ما نجده وارد في مقدمة كتاب الأستاذ الفاضل والدكتور محمد فتح خاني، في كتابه "فلسفة الدين عند دافيد هيوم" تتبع فيه مباحث دافيد هيوم المتعلقة بالدين، ونوّه كذلك إلى أن دافيد هيوم حاول بدوره إقامة منهج يجعل العلوم الإنسانية ممكنة،بجعل نتائجها على مستوى نتائج الميكانيكي النيوتني ،بحيث ترتفع درجات الاتفاق والتطابق بين علما العلوم الإنسانية. ومن هنا حاول إرساء أسس علم أطلق عليه اسم علم الطبيعة البشرية إذ عنون أهم كتبه ب

" رسالة في الطبيعة البشرية" محاولة منه استخدام منهج البرهنة التجريبي في الموضوعات الإنسانية[1]

فقد كان هيوم في بحثه عن التاريخ الطبيعي للدين قد قرر انه لا توجد في الإنسان غريزة للتدين أو الإيمان بدين ما والدليل على ذلك أن هناك أجناسا لا تؤمن بوجود الله. فلو كان الإيمان بالله فطريا في الإنسان لكان موجودا في كل الشعوب وفي كل الأحوال المعروفة، كانت الأديان الأولى كلها مشتركة وليست موحدة في اله أو قوى واحدة ودون أن تكون لديها أية فكرة عن علة عاقلة مدبرة تدبر الكون كله، فنجد هيوم في كتابه "مجاوزات عن الدين الطبيعي" يرى انه لا مانع مع احتمال أن يكون هنالك اله. فانه يقرر في نفس الوقت أن هذا الاحتمال ليس علمي، لذلك يرى أن العناية الإلهية وخلود النفس وسائر على صفات الله مجرد خرافات لا أساس لها من اليقين. ويعتبر دافيد هيوم من ابرز من أنكروا إمكان

[1] محمد فتح على خاني، فلسفة الدين عند دافيد هيوم ، تر: حيدر نجف، دار النشر المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية العتبة العباسية المقدسة ، 2016، ص22.15.

المعجزات حيث يرى أن القوانين الطبيعية تقررت وثبتت بالتجربة الثابتة المطردة لكن المعجزات معناه انكار القوانين الطبيعية فهي أمر خارق للطبيعية وقانونها، إذا المعجزات مستحيلة[1] .

إذ أن ديفيد هيوم لم ينفي وجود الله، ولكن البراهين العقلية و التجريبية قاصرة عن إثبات وجوده،كما انه لا ينكر وقوع المعجزات بصفة مباشرة بل يثبت قصورها بمراجعة أحداثها،ويقول أن التجربة الشخصية للمعجزة تعطل العقل،ولإثبات ذلك يفرق هيوم بين أفكار الذاكرة وأفكار الخيال[2]. ويرى كذلك أن الله يعطل قوانين الطبيعة من اجل منفعة أشخاص معنيين، ويعتقد هيوم أن وجود الله يؤكده ذلك القدر من النظام الذي يمكن اكتشافه في الكون، غير ان الدليل هذا لا يكفي لكي يكفل نتائج كثيرة عن طبيعته وصفاته، ان العالم يبدوا انه يشبه الحي الذي يكون الله هو الروح الشارية فيه، فمن الصعب ان نبرهن على خلود النفس عن طريق النور المحض للعقل، بيد ان الكتاب المقدس في واقع الأمر هو وحده الذي يكشف عن الحياة والخلود ومن ثم فان هيوم فيلسوفا شكاكا أساسا اي انه يعتقد انه من المستحيل بالنسبة للفهم البشري اي يكشف طبيعة الأشياء الحقيقية كما توجد في ذاتها مستقلة عن التجربة، اي انه شاك في الميتافيزيقا وفي الدين بدرجة كبيرة بعكس العلوم الطبيعية والرياضيات...[3]

ثانيا : الأخلاق

يمكن القول بأن أخلاق فلاسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر تندرج تحت ما يطلق عليه " ابستمولوجيا الأخلاق " وهذا يعني أن الأخلاق لعبت دورا مهما في مناقشة فلاسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر وأبحاثهم ما أدى إلى ما نعرفه في فلسفة الأخلاق بالتباين بين الحس والعقل ، ولقد عبر هيوم عن هذا التباين بقوله " لقد بدأ منذ عهد قريب خلاف يخص

[1] عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية ،ج2، بيروت، ص618.450

[2] أيوب أبودية، العلم والفلسفة الأوروبية الحديثة ، مرجع سابق، ص231.230.

[3] ويليام علي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق، ص219.217.

الأساس العام لأخلاق إذا ما كنا نحصل على المعرفة الخاصة بها عن طريق سلسلة من التحليل والاستقراء أو عن طريق شعور مباشر وحس داخلي "

عل أية حال إن ما نريد التأكيد عليه هو أن فلسفة الأخلاق في القرنين السابع عشر والثامن عشر مرتبطة ارتباطا وثيقا بالإبستومولوجيا وقد أدى هذا الارتباط إلى اختلاف الفلاسفة فيما بينهم في تحديد مصدر الأحكام الأخلاقية ، ولقد عبر هيوم عن هذا الاختلاف بقوله : "لا شيء نعتاده في الفلسفة وحتى الحياة العادية أكثر من صراع العاطفة والعقل"

وبوجه عام إن الأساس الجوهري لفلسفة هيوم الأخلاقية هو تأكيده أن قدرة الناس على صنع أحكام أخلاقية لا ترتكز على العقل بمفرده كما اعتمد بعض الفلاسفة [1]

وإنما يرى هيوم أن العقل وحده عاجز عن حمل الإنسان على السلوك والعمل وبالتالي فهو لا يكفي وحده أن يكون مصدرا لأخلاق[2]

وما يلفت الانتباه أن ما يهم هيوم ليس الإجابة عن الأسئلة التقليدية في فلسفة الأخلاق مثل : ماذا ينبغي علينا أن نفعل وماذا تعني أحكامنا الأخلاقية وكيف يمكن تحليلها...

فهيوم لم يقدم لنا مذهبا معياريا ولم يوص في مذهبه الأخلاقي بميول معينة بوصفها أن هذه الطرق للسلوك فاضلة وأن هذه أو تلك ليست فاضلة وإنما كان هدف هيوم دراسة الأخلاق على نمط العلوم الوضعية ، أي دراستها دراسة تجريبية لا مكان فيها للمبادئ أو المسائل التي تتخطى نطاق التجربة ، وهو نفسه يصف علمه في " رسالة في الطبيعة البشرية " بأنه محاولة الإدخال المنهج التجريبي إلى الموضوعات الأخلاقية. ذلك أنه لم يحاول أن يربط الظاهرة الأخلاقية بنظرة ميتافيزيقا منظمة لطبيعة الكون ولكنه ببساطة يطبق نوعا من المنهج العلمي على دراسة العقل البشري. [3]

[1] د. محمود سيد أحمد ، الأخلاق عند هيوم ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، 1992،القاهرة، ص 9-10.

[2] د.زكي نجيب محمود ،دافيد هيوم ، دار المعارف ، 1958، ص141 -142.

[3] د. محمود سيد أحمد ، الأخلاق عند هيوم ، مرجع السابق، ص 10-11.

المطلب الثالث: العالم الخارجي:

العالم الخارجي في نظر هيوم وهم باطل، حيث يعتقد الإنسان أن الأشياء الخارجية تتمتع بوجود متصل دائم، وهي عقيدة باطلة ووهم نسجه الخيال، ويرجع هذا الوهم الخاطئ الى العادة التي أوهمتنا بوجود علاقات ضرورية بين الأشياء، ويظهر رأي هيوم جليا في طرح سؤالا مهما على نفسه إلا وهو: لماذا نجعل للأشياء وجودا مستمرا خارج العقل متميزة عن القدرة المدركة؟ ليجيب عن سؤاله بان الحواس لا تقدم لنا إلا إدراكا حاضرا فقط، مثلا: أرى مكتبي ثم اخرج من غرفتي و أعود إليها لأجد المكتب ثانية. فما أدراني أن هذا المكتب هو نفسه مكتبي الذي رايته قبل خروجي فاعتبر أن العادة هي تفسير لاستمرار وجود المكتب وهذا إن دل إنما يدل على إنني في حقيقة الأمر ولا اعلم عن المكتب شيء إلا ما دلتني عليه عيناي. وانه ليست هناك حجة عقلية واحدة لنبرر بها ذلك، فقد جاءني من العالم الخارجي عدة مكاتب فأسرع خيالي الخادع إلى توهم أن كل هذه المكاتب التي جاءت بها حاسة الإبصار هي في الواقع شيء واحد له وجود مستمر وهذا الوهم الباطل الذي نسجه الخيال هو الذي أدى إلى اعتقادنا بوجود الأشياء المادية المستقلة عنا، فنجد هيوم لا يعلم عن العالم الخارجي إلا ما في ذهنه من مدركات حسية . ما نلاحظ أن هيوم يرى انه ليس في الكون إلا الأفكار التي ندركها ومن الخطأ إن نفرض وجود ما لا نعلم، إذ ينفي وجود رابطة بين الأفكار ويرى ان العقل عاجز على إمساكها والجمع بينهما في لحظة واحدة بل هناك فكرة واحدة وهذه ستمضي من فورها وتحل محلها أخرى ثم ثالثة فرابعة وهكذا الأمر الذي دفع هيوم إلى رفض وجود العقل في أخر رسالته. [1]

المبحث الثالث: أصناف الريبية* :(الريبية المتطرفة والريبية المعتدلة):

إن الريبي بصفة عامة يثير نقمة أكثر الفلاسفة وقارا، مما يطرح سؤال جد طبيعي: ماذا نعني بريبي؟ والى أي حد يمكن أن ندفع مبادئ الشك والحيرة الفلسفية؟

[1] زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص243.240.

يجيب دافيد هيوم أن هناك صنف من الريبة سابقة على كل دراسة وفلسفة، طالما نادى بها ديكارت وآخرون كواقي اسمي ضد الغلط والتسرع في الحكم، وهي توصي بالشك الكلي لا بالنظر إلى كل أرائنا وكل مبادئنا السابقة فحسب، بل أيضا بالنظر إلى ملكاتنا نفسها إذ يجب على أساس قولهم أن نتأكد بأنفسنا من صوابها بسلسلة من التعليلات مستنبطة من مبدأ أولي لا يمكن أن يخدعنا أو يدعونا إلى الشك.

فيذهب دافيد هيوم إلى انه ليس هناك مبدأ أولي يتمتع بامتياز عن المبادئ البديهية فليس بإمكاننا أن نتقدم خطوة واحدة باستعمال هذه الملكات والاعتماد عليها لأنها حسبه غير موثوقة، وهذه الأحكام البديهية كذلك قال بها ديكارت وارتاب في صحتها فقد كان الشك الديكارتي شامل لا يمكن لأي مخلوق بلوغه ولا شفاء من شكه البتة، ما دفع هيوم أيضا إلى التشكيك في ملكاتنا البديهية وإنكار أي تعليلات تقدمها لنا فقد توهمنا الشعور بالأمان... إلا أن هيوم يقر بان هذا الصنف من الريبية يمكن أن يفتح لنا أفاق تحفظ أذهاننا وتخلصنا من إحكام متهورة اكتسبناها من التربية وان نتقدم بخطوات واثقة نحو الحقيقة[1].

وثمة نوع أخر من الريبية لاحق على العلم والبحث، حيث يفترض هيوم أن الناس يكونون قد اكتشفوا إما مطلق الوهم الذي في ملكاتهم الذهنية، أو عدم قدرة تلك الملكات على أن تستقر على أي رأي ثابت في أي موضوع من الموضوعات بل أن حواسنا ذاتها معرضة للنقاش، مثلما أن قواعد الحياة الجارية معرضة تعين ما تتعرض له من الشك أعمق مبادئ الميتافيزيقا...وهناك من يرى ضذ بداهة الحواس من نقص ووهم نحو ما يظهر من انتصار المجداف في الماء في حين أنه ليس كذلك في الحقيقة وهذا أن دل فإنما يدل على أن

[1] دافيد هيوم، مبحث في الفاهمة البشرية، مرجع سابق ، ص203.201.

* الريبية: مشتقة من اللفظ اليوناني Fkebtihos ومعناه المفكر الذي يلاحق الأشياء ويمتحنها وينظر فيها، والريب في اللغة: الظن والشك، ونقول: رابه الأمر، أي جعله شاكً. والريبة مذهب ينهج طريق الشك في علمه وعمله متردداً بين الإثبات والنفي، وقد تكون مطلقة او نسبية، وتكون مطلقة كما في مذهب بيرون، أي شك في كل شئ، وان يتوقف عن الحكم لعجزه عن الوصول إلى اليقين وتكون نسبية بأن يشك في بعض الأشياء دون بعضها :انظر جميل صليبا المعجم الفلسفي. ج1، ص631، 660.

الحواس لا يمكن أن يوثق بها ثقة عمياء وفي الجانب المناظر لهذا الرأي هناك من يرى أنه يمكن الوثوق بها وذلك من خلال استدراك العقل لبداهتها وجعلها ضمن دائراتها بتحديد معيار الصواب والخطأ إذا أن نأخذ بعين الاعتبار أن ثمة حجج أعمق ضذ الحواس لا تقبل حلول سهلة [1] وهناك حقا ريبا أكثر اعتدالا هي فلسفة أكاديمية جديدة يرى هيوم أنها يمكن أن تدوم وأن تكون مفيدة في الوقت نفسه ويمكن أن تتحصل جزئيا عن البيرونية أو الريبية المتطرفة وهي صنف من الريبية عندما نجري فيها بواسطة الحس العام كالتفكير والتفكير بعض التشكيك في شكوكها الغير متمايزة فاغلبية البشر قابلون لاعتناق الدوغمائية في آرائهم فتجدهم يتدافعون نحو توكيد المبادئ التي يميلون إليها وليس لديهم أي تسامح بالنسبة إلى من يعتنقون مبادئ مضادة وحسب هيوم أن هؤلاء المتعطلين الدوغمائين لا يمكنهم أن يخرجوا من حالة التطرف والتردد والحيرة التي تقلق فاهمتهم إلا إذا أمكنهم إدراك أسقام هذا الذهن البشري الغريبة ليصبح في أحسن حالاته كمالا ويكون أكثر تحفظ وصوابا من تحسينتهم ضد خصومهم ويحط من مغالاتهم في صحة آرائهم [2]

الآمر الذي يدفعهم إلى التخلص من شك بيرون المتطرف ليجدوا ضالتهم وفائدتهم في ذلك الصنف من الريبية الملطفة أو المعتدلة التي حصلنا عليها بصورة طبيعية عن الشكوك والوساوس البيرونية، فيرى هيوم أن هذا الصنف من الريبية قائم على حصر مباحثنا في مواضيع أكثر تكيفا مع ضيق قدرة الفاهمة البشرية، فمخيلة الإنسان سامية بالطبع يعجبها كل ما هو بعيد وخارج عن المألوف، تحلق من دون رقيب إلى ابعد أجزاء المكان والزمان لتتجنب الأشياء التي جعلها التعود رتيبة، إما الحكم السليم فينتهج منهاجا مضادا ويتجنب كل الأبحاث البعيدة والعالية ليغرق في الحياة العادية الخاضعة للممارسة والخبرة اليومية،

[1] دافيد هيوم ، تحقيق في الذهن البشري ،تر : محمد محجوب ، ط1 ، 2008، بيروت–لبنان، ص 192–193.

[2] دفيد هيوم ، مبحث في الفاهمة البشرية ، مصدر سابق ، ص215–216.

وان لا شيء يمكن أن يخلصنا من قوة الشك البيروني أن لم تكن قوة الغريزة الطبيعية حاضرة.[1]

ومنه نلاحظ أن دافيد هيوم يصنف الريبية إلى صنفين قد تكون ريبية متطرفة أو ريبية معتدلة:

أولا: الريبية المتطرفة:

ونجد هيوم ضد هذا الصنف من الريبية التي مثلها بيرون، أولائك الذين يعلقون الحكم ويتوقفون عن إصداره كليا، فهو يرى أن هذه الريبية تجعل الذهن في حالة من الدوغمائية وتدخله في قوقعة لا نهاية لها من التطرف كما نجد في الشك.. السفسطائي فلسفة تتضمن استحالة المعرفة والقطع بإنكارها في جزم فهو شك لا يشوبه التردد إذ السفسطائيين أنكروا الحقيقة المطلقة وأبطلوا قيمتها الذاتية وذلك من خلال ردهم المعرفة إلى الحواس فانتهوا إلى وجود حقيقة مطلقة وأنكروا إمكانية إصدار الأحكام العامة لأنها تستلزم أن تكون الفكرة حاضرة في جميع العقول لان الحقيقة وقف على الفرد وبهذا امتنع العلم، وهذا ما يقف له هيوم موقف معارضة ورفض وارتأى دافيد هيوم ان هذا الصنف من الريبية أو ما يسمى بالشك البيروني متخاذلا بائسا مترددا لا يقوى على إصدار حكم ايجابي كان أو سلبي.[2]

ثانيا: الريبية المعتدلة:

أما هذا الصنف من الريبية فيؤده دافيد هيوم ويرى فيه النهج المناسب لاقتفاء أثره، وقد مثلته الأكاديمية الجديدة التي نحت قديما منحنى السفسطائية في جانب الهدم والنقد وزعزعة المذاهب الاعتقادية اليقينية لقد ساءت الظن بالعقل والحواس أداة المعرفة وأنكرت وجود مقياس للحقائق، ومن ثم كان رأي إتباعها في عدم إمكانية اليقينية الصادقة، فكان شك

[1] دافيد هيوم، مصدر سابق، ص217.

[2] توفيق الطويل، أسس الفلسفة ، مكتبة النهضة ، منقعة وموسعة ، ط3، القاهرة،ص231.234.

الأكاديمية الجديدة الناتجة عن البيرونية تتوسط بين السفسطائية والبيرونية، إذ لم يتردد ويخرج من ترددها إلى تعليق الحكم كما فعل البيرونيين ولم يجزم في أحكامه كما فعل السفسطائية، لكنه وقف موقف اعتدال فكان يستعرض ما يقال في الموضوع تأييدا او اعتراضا ثم يؤثر الترجيح ولا يتجاوزه إلى اليقين، أما في انجلترا فقد انتصر للشك هيوم الملقب بالفيلسوف الشاك، بل سمى نفسه بذلك، وكان يمتدح قدماء الشكاك ويثني عليهم فقد أنكر المعرفة التي تقوم على العقل ولم يبسط شكه إلى وجود العالم الخارجي أو المعرفة التي تستقى من التجربة، فانتهى بذلك هيوم إلى أن هذا الصنف من الشك ليس هو شك بيرون قديما وإنما كان شكا بناءا وليس هداما غايته الوقوف على حدود المعرفة الإنسانية بعد رفض الحدود التي أقامها العقليون من الفلاسفة.[1]

لذلك يعتبر دافيد هيوم رائدا من رواد التجديد الفلسفي في العصر الحديث فقد حمل حملة قوية ضد المذاهب القطعية، الجامدة في مختلف صورها وكانت نتيجة هذه الحملة الفلسفية أن وصل قائدها إلى صنف من الارتيابية الجديدة والتشكك المعتدل، أي مذهب وسط بين الشك والاعتقاد إلا وهي الريبية المعتدلة.[2]

وكاستنتاج حاصل للفصل نحاول الإجابة على سؤال ما إذا كانت العلية تشكل إشكالا أم حلا معرفيا؟

وكجواب مباشر فإن السببية عند دافيد هيوم تعتبر حل لمعضلات علمية على مستوى قوانين الطبيعة لكن الفلسفة الشكية لدى دافيد هيوم تجعل من هذا الحل أزمة باعتبار أن العقل في صورته الكلاسيكية والتنويرية أي منطق أرسطو وفلسفة ديكارت يؤزمان الوضع أكثر فأكثر فالعقل محدود وتترتب عنه نتائج سيكولوجية لا وثوقية بتاتا ومنه لا بد من تكرار التجربة .

[1] توفيق الطويل، مرجع سابق، ص236.233.

[2] دافيد هيوم، محاورات في الدين الطبيعي، تر: محمد فتحي الشنيطي ، ط1 ، 1956 القاهرة، ص1.

الفصل الثالث: امتدادات دافيد هيوم الشكية

المبحث الأول: إيمانويل كانط

المبحث الثاني: كارل بوبر

الفصل الثالث: امتدادات دافيد هيوم الشكية

المبحث الأول: إيمانويل كانط

ولد كانط في كونسبرج في بروسيا عام 1824 لم يغادر مسقط رأسه باستثناء فترة قصيرة قضاها في التدريس في قرية مجاورة لبلده من أسرة فقيرة نزحت عن اسكتلندا، وشابا مثله شب في عصر ملك بروسيا فريدريك الكبير وفولتير من الصعب أن يعزل نفسه وينأى بها بعيدا عن تيار الشك الذي اجتاح أوروبا في ذلك الوقت، حيث تأثر كانط تأثيرا كبيرا بالرجال الذي وجه همه إلى دحض أرائهم وأفكارهم، وربما تأثر بعدوه المفضل دافيد هيوم أكثر من غيره ، فقد تحول عن آرائه المحافظة إلى اعتناق مذهب الأحرار والإيمان بالحرية والدعوة لها.[1]

ولقد مهد هيوم الطريق محاكمة للعقل ، إذ إرتد العقل لأول مرة في الفكر الحديث إلى نفسه يمتحنها ويختبرها في كتاب لوك "مقالة في العقل البشري " وبدأت الفلسفة تبحث في الوسائل التي وثقت فها طوال هذه الفترة الزمنية فلم تعد تأتمن العقل وداخلها الريب والشك ولم يكتفي هيوم أن يقف عند هذا الحد من الإنكار وسارع إلى العقل وألقاها في هوة العدم ، ولم يستطع كانط تجنيب نفسه الشك السائد في زمانه وتأثير أعمق الأثر بعدوه المحبوب دافيد هيوم ، فنجده قد قرأ ترجمة ألمانية لكتب دافيد هيوم فأذهلته النتيجة التي قضت على الدين والعلم معا لأنه إن كان لا روح فلا دين.وإن كان لا مادة فلا علم ، أرغبته هذه النتيجة الهادمة و أيقظته من سباته واستسلامه لأراء القديمة على حد تعبيره ، هاله أن يعلن العلم والإيمان إفلاسها وأن يسلما نفسيها إلى الشك ، فأعمل الفكر في وسيلة النجاة والإنقاذ.[2]

[1] ول ديوزانت ، قصة الفلسفة (من أفلاطون إلى جون ديوي) ،تر :فتح الله محمد المشعقيع ، ص 326-327.

[2] زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ، ص 252-260.

فنجد كانط قد تأثر بهيوم في مسائل كثيرة : تصور انطباعات الحسية ووظيفتها ، مصادر المعرفة ، تصور العلية ، التميز بين قضايا العلاقات وقضايا الواقعة ، وإن كان كانط قد وجه ضرباته العنيفة لهيوم في هذه المسائل بعد أن كون موقفه المستقل كما كان كانط متأثرا بموقف التجريبية الإنجليزية وتأثر بهيوم خاصة في إنكاره للميتافيزيقا بالإجمال . حيث أن كانط قرأ الترجمة الكاملة لكتاب هيوم " بحث في العقل الإنساني " فكان كانت مأخوذا بعبارته الشهيرة الواردة في الكتاب عن الميتافيزيقا ولتنويه لم يكن تأثير هيوم في كانط بأن يتمسك بنخبة من عبارته وحسب بل موجها ومطورا له ، ويوجز كانط قوله عن هيوم بقوله أن هيوم من خلال تصوره للعلية ينكر أن يكون هذا التصور قبلي لأن معرفتنا العلية نابعة في ذاتها عن الإدراك الحسي الملازم بين أزواج من الأشياء وقد نجح نجاحا لا مثيل له في هذا الإنكار، كما أنه أنكر أن تكون العلاقة العلية ضرورية ضرورة منطقية ، بل يعلن أن لها ضرورة ذاتية ناتجة عن التكرار والتلازم للحوادث فتكتسب من ذلك عادة تنبأ التلازم في المستقبل ، وبعد هذا التصور الدقيق لا ننسى أن كانط نوه لموقف هيوم حيث ارتأى أن مشكلة هيوم لم تكن أنية ، عرض تصور العلية للريب ولم ينشأ بذلك أن يقلل من مصداقيتها أو يهين دورها ولكن كانت مشكلة ترمي إلا التنقيب حول مصدر ذلك التصور فاستخلص أنه منتوج من صنع الخيال لذلك أنكر هيوم أنه تصور قبلي وأنكر الميتافيزيقا كتصور قبلي ، ولقد امتدح كانط هذا الموقف لهيوم واعتقد به فترة صيباه ثم أعلن من بعد أنه مختلف عنه، فكان تبريريه لهذا أنه من خلال بحثه في علية هيوم انتابته رغبة ملحة لنقد العقل الخالص أي تحليل والتدقيق في ملكاتنا العاقلة بالإجمال بالقياس إلى كل معرفة يسعى إليها هذا العقل مستقلا عن كل خبرة [1]

وهذا ما نلاحظه في الأسماء التي أطلقها كانط على مؤلفاته كيف اشتملت على كلمة نقد (نقد العقل الخالص ، نقد العقل العملي ، نقد الحكم) لنعلم أنه قد أراد بكتبه تحليلا في

[1] محمود زيدان ، كانط وفلسفته النظرية ، دار المعارف ، ط3، 1979،ص 32-50.

جميع المجالات [1] ويمكن القول أن كانط قد فهم مشكلة هيوم حق الفهم فهو رأى على غرار غيره أن مسألة هيوم ليست هي إنكار وجود المبدأ أو انكار قيمته وإنما ينصب الشك على إمكان الوصول إلى تفسير لضرورة الملازمة لعلاقة العلية ، حيث اتخذ كانط نقطة بداية من ملاحظة هيوم التي تذهب إلى أن علاقة العلية هي رابطة ضرورية ، ويتناول كانط هذه الفكرة ويقول بإمكان العقل إقامة علاقات الضرورية بين الموجودات أي أن مايكون موجودا يجب أن يكون معقولا ، ومنه نجد أن ضرورة الرابط في الأشياء ضرورة يقنية من صنع الفهم، في حين يرى هيوم بوضوح أنها لا تستطيع أن تأتي من التجربة ولا من الفهم معتبرا في وظيفته المنطقية أما كانط فيرى أنها توجد في الفهم مبادئ لأحكام تأليفية أولانية هي المقولات[2] وهذه الأخيرة حسب كانط هي تصور عقلي لا تقبل الريب ولكنها تقبل التعديل وكذلك تقبل بقضية تجريبية فما أكثر مثل البديهيات أولية ، وهذا يعني أننا لا نحكم عليها بالصدق أو الكذب وإنما نحكم عليها بالقبول أو الرفض ، ويتحدد معيار القبول والرفض طبقا لرؤية الفيلسوف ومذهبه الفلسفي الذي ينتمي إليه.[3]

ويكاد يقال أن كانط أقام فلسفته النقدية ككل نتيجة تفكيره في موقف هيوم من العلية المتضمنة في نتائج حالتين متضادتين على جوهر واحد ، ونحن نعلم أن هيوم لم يتجاهل أهمية تصور العلية في حياتنا وإنما رفضه باعتباره تصور فطري غير مكتسب أو أنه قبلي غير تجريبي ، وأنه يشكل لدينا نتيجة عادة عقلية ، حيث اجتمع كل من كانط وهيوم في

[1] أحمد عبد الحليم عطية ، كانط وأنطلوجيا العصر ، دار الفاربي ، ط1 ، 2010، بيروت – لبنان، ص 148.

[2] إيميل بوترو ، فلسفة كانط ، تر : عثمان أمين الهيئة المصرية العامة للكتاب، ، 1972 ، القاهرة. ص 113–114.

[3] محمد توفيق الضوى ، دراسات في الميتافيزيقا ، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية. ص19.

لزوم تصور العلية وعدم استغنائنا عنه ، وأنه لا يحتوي ضرورة منطقية ولا بديهية ولكن يختلف كانط مع هيوم أشد الاختلاف في قوله بضرورة العلية ضرورة ذاتية نفسية [1]

ويقدم برهان كانط على العلية لإبراز التباين بين التتابع الذاتي والتتابع الموضوعي في خبراتنا ، القائم على عدد من القروض الأساسية التي يعتقد بها ويتخذها ركائز لبرهانه ، ويستحيل إنكاره لأنه يؤدي إلى الشك والذاتية المسرفة ، ويمكن إيجاز هذه المعتقدات البرهانية فيما يلي :

1-أن تكون المعرفة الإنسانية معرفة موضوعية فالخبرات الذاتية تجعل أحكامنا عن العالم نسبة غير يقينية .

2- عالمنا الخارجي عالم موضوعي منفصل عن انطباعاتنا الحسية وخبراتنا الذاتية

3- إن في عالم الأشياء تعاقب بين حالاتها وحوادثها مستقل عن إدراكانا لها

4- مصدر الموضوعية في المعرفة أو في العالم هو العقل الفعال ، ويقصد كانط بالعقل الفعال الفهم الذي يجب أن يضاف إلى الحدوس الحسية التي تأتينا من الخارج

5-استحالة إدراك الزمن المطلق إدراكا حسيا[2]

فقد قام كانط مثل هيوم ، يبحث في مصادر المعرفة البشرية ، وحلول أن يحدد قدرات الذهن البشري ، ومع ذلك فمنهج البحث عنده مختلف تمام الاختلاف ، فقد انطلق هيوم بالتفسيرات السيكولوجية لعمليتي الإحساس والتأمل، وقام برد الأفكار المركبة إلى أصولها المفترضة في أفكار بسيطة ، أما كانط فهو على العكس ينطلق بالمعرفة اليقينية بصورة مطلقة التي يمتلكها الإنسان في الرياضيات والفيزياء تلك المعرفة التي تعجز الأوصاف السيكولوجية في

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم ، منطق الاستقراء ، مرجع سابق ص 121.

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم ، منطق الاستقراء ،مرجع السابق ، ص 122.

رأيه عند هيوم أن تفسرها غير أن أهمية نظريته في المعرفة لا تعتمد على سيكولوجيا مشكوك فيها ، لقد تصور كانط الذهن أنه ينقسم إلى ثلاث ملكات أولية هي ملكة المعرفة والإدراك والشعور ويكرس لكل ملكة منها كتابا من كتبه النقدية الثلاث التي سبق ذكرها[1]

حيث يرى كانط أن هيوم وفق في زاوية من نظريته ، لكنه لم يوفق في زاوية أخرى ، فقد وفق في أن ليس لدينا معرفة بعالم معقول وأن معرفتنا محدودة بالعالم المحسوس ، لكنه لم يوفق في تقرير أن نوفق بين هاتين النظريتين المتعارضتين في مصادر المعرفة وحدودها لكي نعرف هذا العالم إذن ليس لدينا معرفة سابقة سبقا زمنيا على الخبرة ومن الخبرة تبدأ كل معرفة ، وحسب كانط أن هيوم يمثل التجريبيين أفضل تمثيل في أنه ليس لدينا تصورات قبلية وأن ليس لدينا معرفة العالم بعالم ما وراء خبراتنا الحسية وأن أفكارنا جميعا مشتقة من الانطباعات الحسية ، ويذكرنا كانط بموقف هيوم من طبيعة الانطباعات الحسية حيث يرى هيوم أن الانطباع الحسي في ذاته وجود مستقل قائم بذاته لا يعتمد في وجوده عل أي شيء آخر ، إذ يرى هيوم أن من العبث تقرير جواب مقنع عن مصدر الانطباع أو علته، ونجد كانط يتفق مع هيوم في استغلال الانطباع الحسي وانفصاله عن أي انطباع حسي آخر ومنه ليس هناك ضرورة منطقية في وجوب ارتباط الانطباع بتصور قبلي ، لكن يخالفه عنصر التوفيق بينهما .[2]

ويتبين مما يلي من تفصيلات النظرية أنه لكي يتم إدراكنا الحسي لشيء ما فإننا نمر بمراحل كثيرة معقدة تتمثل في ثلاث مراحل كالتالي:

1-الحدوس الحسية : اجتمع كل من كانط وهيوم في أن الحدوس الحسية التي نستقبلها أنما نستقبلها متميزة مستقل الواحد منها عن الآخر فحين أقول على سبيل المثال أنها تقابلني

[1] ويليام كلي رايت ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ، ص 259-260.

[2] محمود زيدان ، كانط وفلسفته النظرية ،مرجع سابق ،ص 53-141-143.

برتقالة ، فلا ريب أني قد استقبلت انطباعا عن لونها وآخر عن شكلها وثالث عن ملمسها وهكذا...

ويؤدي استغلال الحدوس إلى تنوع الحواس وأن لكل حاسة وظيفتها الخاصة بها : ويسمى كانط الحدوس الحسية على هذا النحو { الحدوس المنفصلة المتباعدة }

2- الحدوس القبلية : لا تكون الأشياء مادية إلا أذا كانت توجد في زمان ومكان ما يعني أن لكل شيء صفاته الحسية وكذلك له خصائصه المكانية والزمانية وقد أثبت كانط أن هذه الخصائص تولد من طبيعة قدرتنا الحسية في جانبها القبلي ، حيث يسمى كانط هذه الخصائص من قبل بالصور القبلية للحدوس .

3- الخيال : الحدوس وحدها لا تؤلف إدراكا حسيا ومنه لا يمكن أن تنشأ معرفة لأنه ينبغي أن يكون موضوع الإدراك كلا واحدا فالمعرفة في أساسها تقترب بعض الحدوس من بعضها الآخر على نحو الارتباط ومن ثم لكي يقوم إدراك حسي يجب أن ترتبط الحدوس وتتوحد لأن الحدوس في طبيعتها منفصلة متباعدة يلزمها عنصر خارج عليها يربط بينها وذلك العنصر الرابط يطلق عليه كانط اسم **التأليف** ويصدر هذا الأخير عن العقل الفعال ، لكن يجب أن نفرق بين الوظيفة التأليفية للعقل الفعال عن وظيفة إصدار صور الأحكام وما يشتق منها من تصورات قبلية ، وتلك الوظيفة التأليفية للعقل الفعال بين الحدوس يلقبها كانط **الخيال**

ونشير إلى أن كانط يميز بين التأليف التجريبي والتأليف الترنستد نتالي[1]

[1] الترنستد نتالي :Transcendentat : أطلقه كانط على ما يخص الفكر وحده وينصب على مبادئ والصور الأولية ويقابل التجريبي والترنستد نتالية من كل مذهب يقوم على مبادئ وصور أولية تحكم التجربة (أنظر ك إبراهيم مذكور : معجم الفلسفة) ص 43.

تسمى التأليف تجريبيا حيث نتحدث عن الفعل الرابط بين الحدوس التجريبية وتسمى التأليف ترنسند نتاليا حيث نتحدث عن الفعل الرابط بين الحدوس القبلية[1]

ولقد كان دافيد الشهير أحد جغرافي العقل البشري ، حيث يرى أنه يجب الإجابة على كل أسئلة عقلنا المحض التي تدور حول ما يقع خارج أفق هذا العقل ، وما جعله في نظر كانط من أحذق الريبين على الأرجح وأشهرهم بلا منازع نظرا لتأثير منهجه الريبي على الحث إلى فحص أساسي للعقل ، إذن الأمر يستحق عناء عرض أفكاره وأرائه ، حيث يرى هيوم أن المبادئ القبلية المزعومة للعقل بمثابة مبادئ متوهمة ، وأنها ليست سوى إعادة ناتجة عن التجربة وقوانينها وبالتالي هي سوى قواعد أمبرية في ذاتها

ومنه يستنتج هيوم من ذلك أنه ليس لدينا من دون التجربة أي شيء يضاف إلى أفهومنا ويخول لنا إصدار حكم يصدق قبليا ، وأنه لا شيء يسمح لنا تعلم مثل هذه القانون إلا التجربة

وهكذا إن الريبي هو الناظر الذي يقود الدغمائي إلى نقد صحي للفاهمة وللعقل نفسه ، وما إن يبلغ ذلك حتى يصبح لا يهاب أي اعتراض ولا يدخل في نزاعات عنصرية لا فائدة منها

ثم إنه صحيح أن الطريقة الريبية لا تشبع كل أسئلة العقل إلا أنها تجعله متيقظا وترشده إلى وسائل أساسية تحفظ ملكاته من الزيغ والتطرف [2]

ويتضح مما سبق أن كانط وفق بمذهبه بين الواقعية والمثالية لأنه من ناحية اعترف بالإحساسات التي تأتينا من الخارج كمادة المعرفة الأولية ، ولكنه من ناحية أخرى أكد فاعلية العقل واشتراكه في صياغة تلك الإحساسات في مدركات حسية أي هو واقعي مثالي

[1] محمود زيدان ، كانط وفلسفة النظرية ، مرجع سابق ،ص144-147.

[2] إيمانويل كانط ، نقد العقل المحض ، تر: موسى وهبة ، مركز الإنماء القومي ، بيروت – لبنان، ص 367-370.

لأنه يرى أن الأشياء المكانية موجودة حقا وليس مجرد ظواهر ، ولكن أساس وجودها هو المكان الذي يقع فينا [1]

فقد كانت تلك المثالية في فكر كانط نظرية نهائية : لكن في مقدمة السيد **بيلون*** العميقة لرسالة هيوم **الطبيعة البشرية** قد خلص إلى القول بأنه يرى أن من الواجب الجمع بين رأييي هيوم وكانط لكل نصل إلى فلسفة في المعرفة شاملة جاملة ، وهذا ما أراده كانط دائما أن يضاف إلى لفظ المثالية صفة كصفة الترنستند نتالية أو النقدية ، فيظهر مذهبه متسقا محكما .[2]

ومن هذا الوجه فقد كان مؤرخو الفلسفة على حق ، حيث رأوا في الفيلسوف الإستكندي هيوم أبا روحيا للفيلسوف الألماني كانط صاحب المذهب النقدي الكبير.

والواقع أن كانط نفسه قد أشاد بعبقرية هيوم وأعترف بفضله عليه فقال في كتابه التمهيدات لكل ميتافيزيقا مستقلة لقد كنت في غفلة من أمري إلى أن جاء هيوم وايقضني من نعاسي القطعي فمهما يكن من اختلاف في النتائج التي انتهى إليها هذان الفيلسوفان فمن المحقق أن غايتهما من البحث واحدة وأن روح فلسفتهما واحدة حيث الغاية هي المعرفة الإيجابية ، وأما الروح فهي الروح النقدية. [3]

ونجد في آخر المطاف أن الشك بعد كل ما وجه إليه من حملات فقد بقي الكثيرين من الفلاسفة منهجا للتفكير، وبقيت قيمته في البحث الفلسفي والعلمي في مختلف صوره.[4]

---

[1] زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق، ص 285.

*بيلون فرانسوا ، Firançoin. Pillion: فيلسوف فرنسي (1830–1914) أسس مع أستاذه روفييه مجلة السنة الفلسفية 1868 كان من الممثلين الرئيسسين للنقدية المحدثة في فرنسا (أنظر : جورج لمرابيشي ، معجم الفلاسفة ، ص 229.

[2] إيميل بوترو ، فلسفة كانط ،مرجع سابق ، ص 126.

[3] دافيد هيوم ، محاورات في الدين الطبيعي ، تر: محمد فتحي الشنيطي ، ط1 ، 1956 القاهرة . ص 23.

[4] توفيق الطويل ، أسس الفلسفة ،مرجع سابق ، ص 237.

المبحث الثاني: كارل بوبر

كارل بوبرKarl Buhber عالم النفس الألماني الشهير المعروف بدراساته في عمليات التفكير. [1]

ويعتبر من أبرز فلاسفة العلم المعاصرين الذين قدموا لنا نقدا لمنهج البحث في العلوم الطبيعية في ضوء الاتجاهات المعاصرة ويمكن أن نلمس ذلك من خلال كتاباته ذاتها لقد افتتح مؤلفه القيم المعرفة الموضوعية بالتقرير الآتي {أعتقد أنني تمكنت من حل مشكلة فلسفية كبيرة ، مشكلة الاستقراء وقد توصلت للحل في عام 1927 أو حوالي ذلك لقد كان هذا الحل مثمرا تماما ومكنني من حل عدد كبير من المشكلات الفلسفية الأخرى} .[2]

حيث تقوم فلسفة بوبر بأسرها على أن خاصية المنطقية المهمة للعلم التجريبي هي فسح المجال لتكذيب عباراته أي قابليته المستمرة للمواجهة مع الواقع والوقائع للنقد والمراجعة واكتشاف الأخطاء وبالتالي التصويب والاقتراب الأكثر من الصدق ، وبهذا علمنا كارل بوبر كيف تكون فلسفة العلم هي منطق قابليته المستمرة للتقدم ، بحيث تكون قواعد البحث العلمي قواعد مباراة هي من حيث المبدأ بلا نهاية .أما إذا قرر يوما ما أن العبارات العلمية أصبحت لا تستدعي أية اختبارات أخرى ، ويمكن اعتبارها متحققة بصورة نهائية ، فإنه ينسحب من المباراة ، لذا فنحن لسنا في حاجة إلى منطق للتبرير والتحقق بقدر ما نحن في حاجة إلى منطق للكشف والتقدم المستمر.

إذ مثل كارل بوبر نقطة تحول حاسمة حيث رأى بوبر أن فلاسفة العلم منذ كل فلاسفة المعرفة التجريبية منذ دافيد هيوم ينظرون إلى المعرفة العلمية بوصفها حقائق مثبتة ينشغلون

[1] كارل بوبر ، الحياة بأسرها حلول لمشاكل ، تر: بهاء درويش ، دار المعارف، الإسكندرية، ص 128.

[2] كارل بوبر ، منطق الكشف ، تر :ماهر عبد القادر محمد علي ، دار النهضة العربية، 1986 ، بيروت، ص 28.

بتبريرها فقرر بوبر على إحراز الخطوة الأبعد، وأكد أنه على عكسهم جميعا لا يعني البتة بتبرير المعرفة العلمية أو حدود صدقها وصحتها ، بل يعني فقط بمشكلة نمو المعرفة وكيفية نقدها فيصوب الأنصار إلى منطق الكشف العلمي لحظة التكذيب والتفنيد في إطار معالجة منطقية منهجية بالغة الدقة والأحكام .

فأتت فلسفة بوبر رائدة قادرة على دفع فلسفة العلم إلى أفاق أبعد بعقل تحرر تماما من رواسب المرحلة النيوتنية الحسنية ليقدم بوبر صياغة دقيقة لمنطق الكشف العلمي تصب فلسفته الرائدة للعلم في إطار نظرية منهجية لتتفق الأطراف المعنية على أن بوبر فيلسوف المنهج العلمي الأول بغير منازع على هذه الأولوية وفي هذا الصدد يقول أحد علماء الفيزياء النظرية بتعبير بليغ حقا :{ إن كارل بوبر هو الفرد العلم الذي يشار إليه بالبنان حين طرح السؤال عن المنهج العلمي }

وكما قال عالم الفلك الإنجليزي بيرمان بوندي H.Bond : **إن العلم ببساطة ليس شيئا أكثر من منهجه ، وليس منهجه شيئا أكثر مما قاله بوبر** وغيرهم من العلماء أمثال جاك مونو وبيتر مدوار أكدوا على أهمية الاسترشاد بفلسفة بوبر للمنهج العلمي.[1]

ونحن كبشر يكمن واجبنا في البحث عن الحقيقة الموضوعية والمطلقة إلا أنها ليست في متناول أيدينا فهي شيء نبحث عنه باستمرار وغالبا ما نجده بصعوبة ، كما نحاول دائما أن نقترب أكثر من الحقيقة ومالم تكن الحقيقة موضوعية ومطلقة ما كان من الممكن لنا أن نخطئ أو لكانت أخطاؤنا مثل صدقنا .[2]

فمنطق المعرفة في رأي بوبر لا يهتم بمصدر الأفكار وإنما هو بالأحرى يهتم بمدى ملائمة الأفكار للواقع، حيث نجد بوبر يشير إلى أن المعرفة تكون موضوعية إذا وجدت بالاستقلال

[1] يمنى طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ط2 ، 2014، القاهرة ، مصر، ص 309-311.

[2] كارل بوبر ، الحياة بأسرها حلول لمشاكل ، مرجع سابق ، ص 151.

تام عن الحالة الذاتية لعقل الفرد ، ولهذا التركيب خصائصه الموضوعية المستقلة تماما عن الذاتية الإنسانية فيقول بوبر : { المعرفة بالمعنى الموضوعي هي معرفة بدون عارف ، إنها معرفة بدون ذات عارفة }

بمعنى أن بوبر لديه نزعة مضادة للذاتية أي أن نظرياته لا يمكن أن ترد إلى محتوى الشعور لأي فرد ولا تتضمن ولا تعتمد على اعتقادات الذاتية لأي فرد [1]

في حين يجد بوبر أن هيوم غارق في متاهات النزعة الذاتية منشغل بالاعتقاد في مشابهة الماضي للمستقبل والخبرة والعادة والطبع وكلها بحوث أليق بعلم النفس وليس الابستيمولوجيا.

لكن في خضم هذه الغياهب السيكولوجية ثمة جوهرة ثمينة تظفر بها المعرفة الموضوعية وهي التنفيذ المنطقي ليكون الاستقراء تبريرا كافيا للمعرفة العلمية أو ما يعرف بمشكلة الاستقراء وهذه الأخيرة التي أخرجها هيوم في مصطلحات سيكولوجية ذاتية ليأتي بوبر ويصبها في قالب المنطق الموضوعي لتصبح مشكلتها الرئيسية هي مشكلة العلاقة المنطقية بين الوقائع التجريبية وعلى هذا الأساس الموضوعي يطرح بوبر سؤال : هل يمكن للوقائع التجريبية أن تبرر الدعوى بصدق النظرية العمومية التفسيرية ؟ وأجاب بوبر على هذا نفس إجابة هيوم ، أي بالنفي.

وهنا يصل إلى السؤال الثاني :هل يمكن للوقائع التجريبية تبرير الدعوى بأن النظرية العمومية كاذبة ؟ وبوبر يرد على هذا بالإيجاب فالوقائع التجريبية لا تبرر الدعوى بصدق النظرية ، لكنها تبرر الدعوى بكذبها .

لذا برزت مشكلة الاستقراء،حيث حالة نفي واحد تحسم القول في كذب القضية ويكون رفض الإثبات وقبول النفي صوابا منطقيا نقيم عليه منطق التجريب العلمي كما سيفعل معيار

[1] كارل بوبر ، منطق الكشف العلمي ، مرجع سابق ، ص 36-37.

التكذيب مثال : كل البجع أبيض لن يثبت صدقها ملايين البجعات البيضاء ، أما رؤية بعجة واحدة غير بيضاء فهي كافية لإثبات كذب القضية

وكانت مشكلة الاستقراء التي أثارها هيوم ذات شق سيكولوجي وقد أحاط بها بوبر حيث يرى أن ما يصدق في المنطق يصدق أيضا في علم النفس و يضع بوبر السؤال السيكولوجي هكذا : هل نشعر باليقين من النظريات حتى المختبرة جيدا كالنظرية شروق الشمس كل يوم مثلا ؟ يجيب بوبر بالنفي فاليقين دائما مستحيل ، فهناك بالضرورة اعتقادات قوية نتصرف على أسساها في حياتنا العملية[1]

ولكي يحسم بوبر حلا لمشكلة الاستقراء يعاود التأكد على أن اعتقاداتنا ليست نتيجة التكرار كما أوضح في نقده لهيوم الذي زعم أن العادة تؤدي بنا إلى إنشاء قانون ، في حين يرى بوبر خلاف ذلك بأن العادة تلغي القانون ويتضح ذلك في قوله :" لقد انتهى هيوم إلى التكرار خلق فينا عادة الاعتقاد في قانون.غير أن هذا خطأ والعكس تماما هو الصحيح ، فالتكرار يحطم الوعي بالقانون ولا يخلق اعتقادا فينا [2]" فهو يرى أن العقل هو الذي يفرض مفهوم التكرار على الواقع بناءا على توقعاته النظرية السابقة على التجربة ، وهذه التوقعات كفيلة بأن تجتف الاستقراء من أعمق الجذور[3]

ومع أن بوبر يعترف بوجود معرفة فطرية إلا أنها ليست معرفة يقينية فلا وجود لمعرفة يقينية مالم أختبر ذلك باستمرار وأتحقق باستمرار من الواقع بكل العينات العشوائية الممكنة ، فكل ما يوجد هو معرفة تخمينية .[4]

---

[1] يمنى طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين ، مرجع سابق ، ص 334-336.

[2] ايمانويل كانط ، انطولوجيا الوجود ، مرجع سابق ، ص80.

[3] يمنى طريف الخولي ، مرجع نفسه ، ص 336.

[4] كارل بوبر ، منطق الكشف العلمي ، مرجع سابق ، ص 150.

ونجده يكتب تحت عنوان الصدق والعقلية ونمو المعرفة العلمية السؤال: كيف تعرف أن النظرية ذات درجة عالية في الاقتراب من الصدق أكثر؟ يرى بوبر أنه يمكن الإجابة عليه كما يلي :" إنني لا أعرف إنني أخمن فقط ولكنه يمكنني أن أمتحن تخميناتي بطريقة نقدية .

فإذا صمدت للنقد الشاق إذن فإن الحقيقة يمكن أن تؤخذ كسبب نقدي جيد في مقابل التخمين...."

أي أن نمو المعرفة تعتمد على منهج النقد العقلي ذاته، على اعتبار أنه يزودنا بأساس جيد لنمو المعرفة، ويوضح لنا كيف أن نظرية ما أقرب من نظرية أخرى. بمعنى أنها تصمد أمام الاختبارات الشاقة التي لم تصمد أمامها نظرية أخرى ، وغياب النقد العقلي يؤدي إلى أن تصبح خطة العلم مدمرة تماما.[1]

وعلى ضوء ما سبق يمكن أن نستخلص من نظرية بوبر المنهجية الخطوات الآتية للمنهج العلمي :

1-المشكلة وهي عادة تفنيد نظرية موجودة

2-الحل المقترح أي نظرية جديدة

3-استنباط القضايا القابلة لاختبار من النظرية الجديدة

4-الاختبار أي محاولة التفنيد بواسطة الملاحظة والتجريب من ضمن وسائط أخرى

5- الأخذ بأفضل الحلول أي النظرية المتنافسة [2]

وبطبيعة الحال تحدد هذه النظرية المنهجية منطق العلم وطبيعته، من حيث أنه دائما غير يقيني مؤقت نسلم به الآن لأنه الأفضل وفي وقت لاحق لابد من التوصل إلى ما هو

[1] كارل بوبر ، منطق الكشف العلمي ،مرجع سابق ، ص 46-47.

[2] يمنى طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين، مرجع سابق ، ص 342-343.

أفضل، فالمسألة نسبية وهي متغيرة من حيث هي دائمة التقدم والتطور. وبوبر يفسر التقدم العلمي بكلمة واحدة هي النقد.

وقدر للبوبرية الانتصار وفي نهاية القرن العشرين أصبحت النزعة الاستقرائية مرحلة منتهية من مراحل تطور فلسفة العلم حيث يقول بوبر: " إذا حاول أحد أن يفكر في منهج علمي يقوده إلى النجاح فسيصاب بخيبة أمل النظريات العلمية لا يمكن أن تبرر أنها فقد تنقد وتختبر ويضل أهم ما في فلسفة بوبر أنها دفعت فلسفة العلم دفعة واسعة في اتجاه منطق الكشف والتقدم فتحت أمامها آفاقا أوسع واستحق بوبر أن يكون أهم فلاسفة العلم ويمكننا القول أن لهيوم فضل على بوبر في ذلك النجاح حيث فتح له المجال لإبراز وجهة نظره المتميزة والتي أحدثت فاصالا حاسما [1].

[1] يمنى طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين، مرجع سابق ، ص 313 .

خـــاتـمـة

خاتمة

بعد هذه الدراسة التفصيلية لفلسفة هيوم من خلال التوغل في مجالات نزعته الشكية، ومدى ترابط وتسلسل حلقاتها التاريخية إلى غاية امتدادات فكره والصدى الذي خلفه يمكننا إبداء الملاحظات التالية :

إن فلسفة هيوم تعتبر محرك رئيسي للفكر الفلسفي الغربي الحديث،فكانت فاصلا حاسما تقوم على أساس الشك وهذا الأخير كمرحلة أولى عند ديكارت كان مجرد مبدأ مبتكر، ثم تبلور مع التفكير الرياضي ليصبح منهجا وعلما قائما بذاته ما يعني أن الشك ذات جذور معرفية ، خاصة مع هيوم التي كانت فلسفته قائمة على عدم الثقة، فكان دائم التأمل والتشكيك في الشعور والعقل الإنساني لذلك فإن هيوم كان نقطة انطلاق فاعلة لا مثيل لها، حيث حاول إدخال المنهج التجريبي في الموضوعات الفلسفية سعيا منه للوصول إلى الدقة العلمية في مجال العلوم الإنسانية ،ومنه لجأ هيوم إلى نزعته الشكية التي استطاع من خلالها أن يكشف عن محاسن هذا الاتجاه الشكي وإن كان له إيمان بقدرة التجربة على الوصول للحقيقة وإعطاء أولوية للتجربة على العقل إلا أنه أصبح يهدف إلى إقامة نسق عقلي تجريبي محكم لتمتع قاضياه وأحكامه باليقين والعمومية والضرورة والسعي إلى تطوير المعرفة ونموها.

فنجد هيوم يرى بعجز عن تأسيس المعرفة على التجربة لأن التجربة لا يمكن أن تكون مكتفية بذاتها بل تحتاج دائما إلى أساس عقلي تتأسس عليه، إذ ليس بوسع التجربة على الإطلاق أن تبرر المفاهيم العقلية....وأمام إحساس الاتجاه التجريبي بعجزه عن تأسيس المعرفة على التجربة وحدها لجأ هيوم إلى قبول بعض الأفكار العقلية، ورغم تمكن هيوم من تحقيق تقدم محرز إلى أنه وقع في مشاكل وتناقضات، فكان أول من أثار مشكلة الاستقراء وركز جهوده على مبدأ السببية بوصفها عنصرا محوريا يحل مفارقة معرفية في نظريته، ولهذا شغلت السببية حيزا كبيرا من فكره ، ونظرا لما كان هدف الاتجاهين يتمثل في تأسيس

درب يسمح للعقل باحتواء مطالبه والارتقاء بمستوى النهج إلى مرتبة العلم ، فلم يكن من الممكن التخلي عن هذا الهدف المساير لمطالب العصر الحديث،ومن ثما تطلب الأمر بذل محاولة لإعادة تأسيس الميتافيزيقا، وليجعل هيوم من شكوكيته طريقا ومنهجا يسعى بواسطته الوصول لمعرفة موثوقة، ونلاحظ في مضمون هذا البحث كيف أن هيوم واجه عمالقة الفكر وامتدت هذه الصراعات من زمانه إلى زماننا، وضمت خصوما تعددت أهدافهم وتضاربت مصالحهم واختلفت مشاربهم وانتماءهم، فمهنهم من أنكر أصالته ومنهم من تنكر لأبوته ومنهم من حارب بأسلحته وآخرون ارتفعوا برایاته ، فكان ايمانويل كانط من أبرز المتأثرين بفلسفة هيوم الحسية، وقد كان اهتمامه نقديا حتى أنه اعترف في كتابه " مقدمة نقدية " بأن أعمال هيوم هي التي أيقظته من سباته الدغمائي، ومن ثما جاء بفلسفته الخاصة والتي يمكن وصفها بفلسفة نقدية ، كما نجد كارل بوبر هو الآخر فيلسوف تميز بروحه النقدية ، فقد نقد مشكلة الاستقراء التي أثارها هيوم وسعى لإيجاد حل مناسب لها ، وما كان من الممكن أن تهدأ العاصفة لأن التساؤلات الفلسفية لا تتوقف وإشكاليات الفكر لا تهدأ.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

باللغة العربية :

1-دافيد هيوم ، تحقيق في الذهن البشري ، تر : محمد محجوب ، ط1 ، 2008، بيروت-لبنان .

2-دافيد هيوم ، رسالة في الطبيعة البشرية ، تر : وائل علي سعيد ، ج 2 ، 2008، دمشق.

3-دافيد هيوم ، مبحث في الفاهمة البشرية ، تر: موسى وهبة ، دار الفارابي ، ط 1 ، 2008 ، بيروت – لبنان .

4-دافيد هيوم ، محاورات في الدين الطبيعي ، تر: محمد فتحي الشنيطي ، ط1 ، 1956 القاهرة .

المراجع:

باللغة العربية:

1-إبراهيم مصطفى إبراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، دار الوفاء ، 2001 ،الإسكندرية .

2-إبراهيم مصطفى إبراهيم ، منطق الاستقراء ، دار المعارف ، 1999، الإسكندرية.

3-ابن رشد، مجموعة ثلاث كتب تضم : (تهافت الفلاسفة للغزالي وتهافت لابن رشد وتهافت الفلاسفة لخوجه زادة)، طبع في مطبعة الخيرية بمصر على نفقة مصطفى البابي الحلبي ، 1319.

4-أبي حامد الغزالي ، الاقتصاد في الاعتقاد ، مطبعة السعادة ، ط2، 1962، مصر.

5-أبي حامد الغزالي ، المنقذ من الضلال ، حققه وقدمه جميل صليبا و د.كامل عياد ، دار الأندلس ، بيروت –لبنان .

6-أبي حامد الغزالي ، مجموعة رسائل الإمام الغزالي ّ،وضع حواشيه وخرج أحاديثه وقدمه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية، ط1، 1988 ، بيروت ، لبنان .

7-أبي حامد الغزالي ، محك النظر ، دار الكتب العلمية ، 1966، بيروت.

8-أبي حامد الغزالي ، مشكاة الأنوار، تحقيق د أبو العلا عفيفي ،1964، القاهرة.

9-أبي حامد الغزالي ، معيار العلم في المنطق ، شرحه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان .

10- أبي حامد الغزالي ، ميزان العمل ،حققه وقدمه د- سليمان دنيا ، دار المعارف، ط1، 1964 ، مصر.

11- أحمد عبد الحليم عطية ، كانط وأنطلوجيا العصر ، دار الفاربي ، ط1 ، 2010، بيروت – لبنان.

12- أميرة حلمي مطر،الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء، 1998، القاهرة.

13- إيمانويل كانط ، أنطلوجيا الوجود ، تر : د-جمال أحمد سليمان ، دار التنوير، 2009.

14- إيمانويل كانط ، نقد العقل المحض ، تر:موسى وهبة ، مركز الإنماء القومي ، بيروت – لبنان.

15- إيميل بوترو ، فلسفة كانط ، تر : عثمان أمين الهيئة المصرية العامة للكتاب، ، 1972 ، القاهرة.

16- أيوب أبودية ، العلم والفلسفة الأوروبية الحديثة من كوبرنيق إلى هيوم ، دار الفارابي ، ط1، 2009، بيروت- لبنان.

17- برتراند راسل ، العلم الفلسفة الغربية، تر: زكي نجيب محمود ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ج1 ، 2010.

18- برتراند راسل ، حكمة الغرب ، تر: فؤاد زكريا ، ج2 ، 1983.

19- توفيق الطويل ، أسس الفلسفة ، مكتبة النهضة ،منقعة وموسعة ، ط3، القاهرة.

20- جيل دولوز ، التجربة والذاتية، تر : أسامة الحاج، ط1، 1999، بيروت.

21- دافيد سانتيلانا ، المذاهب اليونانية الفلسفية في العالم الإسلامي ، دار النهضة العربية ، 1981 ، بيروت .

22- ريمون غوش ، الفلسفة السياسية في العهد السقراطي ، دار الساقي ، ط1 ، 2008، بيروت – لبنان.

23- زكريا بشير إمام ، الفلسفة التورانية عند الغزالي ، مكتبة الفلاح ،1989، الكويت.

24- زكي نجيب محمود ، دفيد هيوم ، دار المعارف ، 1958.

25- زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة الحديثة ،1936 ، القاهرة.

26- عبد الرحمان بدوي ، خريف الفكر اليوناني ، مكتبة النهضة العربية ، ط4 ، 1970 ، القاهرة.

27- عبد الزهرة البندر، منهج الاستقراء في الفكر الإسلامي، دار الحكمة ، ط1 ، 1992،الإسكندرية.

28- عبد الوهاب جعفر ، أضواء على الفلسفة الديكارتية ، 1990، الإسكندرية.

29- كارل بوبر ، الحياة بأسرها حلول لمشاكل ، تر: بهاء درويش ، دار المعارف، الإسكندرية .

30- كارل بوبر ، منطق الكشف العلمي ، تر :ماهر عبد القادر محمد علي ، دار النهضة العربية، 1986 ، بيروت.

31- ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار العلم للملايين ، ط1، 1991 ، بيروت.

32- محمد الخطيب ، الفكر الإغريقي ، دار علاء الدين ، ط1 ، 1999 ، دمشق.

33- محمد باقر الصدر ، الأسس المنطقية لاستقراء ، مؤسسة العارف ، ط1 ، 2008 ، بيروت – لبنان .

34- محمد توفيق الضوى، دارسات في الميتافيزيقا ، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية.

35- محمد فتح علي خاني ، فلسفة الدين عند دافيد هيوم ، تر: حيدر نجف، دار النشر المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية العتبة العباسية المقدسة ، 2016.

36- محمد فتحي عبد الله ، دراسات في الفلسفة اليونانية ، دار الحضارة ، طنطا.

37- محمد مهران رشوان ، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة ، دار الثقافة ، ط2 ، 1984، القاهرة.

38- محمود حمدي زقزوق ، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت ، دار المعارف ، ط4، 1997، القاهرة .

39- محمود زيدان ، كانط وفلسفة النظرية ، دار المعارف ، ط3، 1979.

40- محمود سيد أحمد ، الأخلاق عند هيوم ، دار الثقافة ، 1992، القاهرة.

41- محمود فهمي زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمي ، دار الجامعات المصرية ، 1977، الإسكندرية.

42- محمود قاسم ، المنطق الحديث ومناهج البحث ، مكتبة الأنجاو، ط2 ، 1903.

43- مهدي فضل الله ، فلسفة ديكارت ومنهجه ، دار الطليعة ، ط3 ، 1996 ،بيروت- لبنان.

44- هاني يحي نصري ، دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة ، مؤسسة مجد، ط1، 2002 ، بيروت- لبنان.

45- ولتر ستيس ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد ، دار الثقافة ، 1984 ، القاهرة.

46- ول ديورانت ، قصة الفلاسفة من أفلاطون إلى جون ديوي ، تر : فتح الله محمد المشعشع .

47- وليم جيمس ، بعض مشكلات الفلسفة ، تر: محمد فتحي الشنيطي ، المؤسسة المصرية العامة .

48- وليم كلي رايت ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، تر: محمود سيد أحمد ، التنوير ، ط1 ، 2010، بيروت-لبنان.

49- يمنى طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ط2 ، 2014، القاهرة ، مصر.

50- يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة.

51- يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة.

المعاجم :

1-إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، 1983، القاهرة.

2- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، 1982 ، بيروت – لبنان.

3- جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، دار الطليعة ، ط3 ، 2006، بيروت – لبنان.

الموسوعات :

1-عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، المؤسسة العربية ، ج2، بيروت.

المواقع الإلكترونية باللغة الأجنبية :

1 - Morris, William Edward and Charlotte R. Brown, "David Hume", The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Summer 2020 Edition), Edward N. Zalta (ed.), URL = https://plato.stanford.edu/archives/sum2020/entries/hume /

ملخص الدراسة

الملخص باللغة العربية:

الكلمات المفتاحية : دافيد هيوم ، الشك ،المعرفة، السببية، الاستقراء، أفكار ذهنية.

تهدف هذه الدراسة أساسا إلى إبراز طبيعة الشك عند دافيد هيوم ، فلقد تطرقنا إلى عدة أبواب تضمنت رؤية هيوم الشكية فتناولنا المعرفة وما تحتويه من أفكار ذهنية والعلاقات السببية وكيف وقع هيوم في مشكلة الاستقراء ، كما شملت نزعته الشكية المعتقدات الدينية والأخلاقية ، كما تطرقنا أيضا إلى امتدادات هيوم الشكية وكيف تأثر به إيمانويل كانط واستيقظ من سباته الدوغمائي ، ونقد كارل بوبر مشكلة هيوم ومحاولة إيجاد حل مناسب لها ،واستخلصنا إلى أن الشك عند دافيد هيوم هو شك منهجي ذات جذور معرفية أساسه الوصول إلى الحقيقة.

الملخص اللغة الانجليزية:

Abstract

Keywords:

David Hume, doubt, knowledge, causation, induction, intellectual thoughts.

The main objective of this study is to highlight the nature of David Hume's suspicion. We have discussed the knowledge, ideas of mind, causality, how Hume's paranoia got into the stability problem, his scepticism, religious and moral beliefs, the amethyst of Hume Kant, how he was influenced by Emmanuel Kant, how he woke up from his dogmatic hibernating, Karl popper criticized Hume's problem and tried to find a suitable solution to it, and we have concluded that David Hume's suspicion is a systematic one with cognitive roots based on the truth.